العتبة العلوية المقدسة
IMAM ALI HOLY SHRINE

السنة الثامنة عشرة العدد 190
ذو القعدة 1446هـ - 2025م

الولاية

مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

سـيدي يا أبا الجـواد ويـا بن الـ خير موسـى ويا منـاط الرجـاءِ
يـا مقيماً بقـلب كـل مـحبٍّ يـا مقيماً بقـلب كـل مـحبٍّ
يا بـن أصـلاب مـن أعـزِّ رجـالٍ وابـن أرحـامٍ مـن أعـفِ نسـاءِ
سيـدي إنكـم مـزاجٌ تـلاقى عنـده الأنبـياءُ بـالأوصـياءِ
فـتسامـى الإبـداع في نطفـة أمشاج أهدت للكـون أهل الكسـاء
المـيامـين والـذين إليـهم تتـأدى نهـايتـي وابتـدائي

الشيخ أحمد الوائلي

حدث في مثل هذا الشهر

أبرز الأحداث التاريخية لشهر ذي القعدة

- في الأول منه ولادة السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) سنة ١٧٩ هـ على رواية.
- في الحادي عشر منه ولادة الإمام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) سنة ١٤٨ هـ
- في الخامس والعشرين منه (يوم دحو الأرض).
- في آخر يوم منه شهادة الإمام محمد بن علي الجواد (عليهما السلام) سنة ٢٢٠ هـ.

المشرف العـــام	السيـد عيسى الخرسـان
رئيس التحريـــر	د. محسن عبد العظيم الخاقاني
مدير التحريـــر	د. حســين فاضل الحكيـم
سكرتير التحريـــر	هشـام أمـوري السمـاك
المحـــــررون	هاشم محـمد البـــاججي حيـــدر رزاق الكعـبي عبد الحسن هادي الشافعي حـمود حسـين الصـــراف رياض مجيد الخزرجـــي
التصحيح اللغـوي	صـلاح مـهـدي الحلـــــو
السلامة الفكـرية	نبـأ محسـن الحمـامي فـاروق محســن عبـاس
تصمـــيم الغلاف وتوليد الصـــور	حســين عـلاء التميـمي
التصميم والاخـراج	صبـــاح حســن الدجيلي احمد مكي جعفر القرشـــي
الاعمدة والبوسترات	ضيـاء نسيـم حرز الدين

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1121) للعـــام 2008م
رقـــم الاعتمـــاد فـــي نقابـة الصحفييـــن العراقـيين (744)
alwelayh.com - info@alwelayh.com - 07700553150

إنَّ كذبَهُ أحسنُ من صدقِك

السيد عيسى الخرسان
الأمين العام

في هذهِ الأيام التي تلتبس فيها مقاصد الحق والباطل، وتغيب فيها حدود الخير والشر، وفي ظلِّ ما أفرزته ثقافة التغريب المعولمة من تحوِّلٍ وتمحّل، يجد الناس أنفسهم في دائرة لانهائية من الأحكام المسبقة، والتي لا تكاد ترتكز -في مجملها- إلى مرجعيةٍ غائيةٍ محدَّدة.

وممَّا يُلاحظ في هذا السياق ما يذهب إليه الناس في أيامنا هذه من سلوكٍ فجٍّ ومعاملةٍ رديئة، بدعوى انحيازهم لصدق الحديث، دون النظر إلى ما وراء الصدق من مغزى ومبدأ وفلسفة.

وبالنظر إلى مفهوم الصدق بوصفهِ معنىً ودلالة، فإنهُ فرع الفضيلة ودالّتها، وهو يرتبط بها ارتباطًا جوهريًا، وقد يحدث أن يُفرَّغ الصدقُ من غايتهِ الفضلى، فينقلبُ من حسنٍ إلى قبيح، ومن ممدوحٍ إلى مذموم.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن نتحرّى في كلِّ مصدوراتنا الأحكام المطلقة للسلوك (كالخير والحقِّ والفضيلة)، ونميّزها عن غيرها من الأحكام المقيّدة، كما يتعيّن علينا معرفة حدود ارتباط المطلق بالمقيّد، بما يخدم السيرورة الصعودية لذواتنا في مدارج الخير ومراقي الكمال، وتحقيقًا لرسالة الإنسان في هذهِ النشأة.

ورد في الأثر أنَّ متَّهمًا أُدخِلَ على ملكٍ فأمر بقتله، وإذ آيس الرجل من الحياة، شرع في سبِّ الملك وشتمه، لكنَّ الملك لم يسمع جيدًا فسأل: ماذا يقول هذا الرجل؟ فقال الوزير: إنهُ يقول: والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، فتدخل أحد الأشخاص ممّن كانوا يتحيّنون الفرصة للنيل من الوزير كي يتقلّد الوزارة بدلًا عنه، فقال في نفسه: لا ينبغي الكذب في حضرة الملوك، ثم التفت إلى الوزير وقال له: إنَّ هذا الرجل حقّر الملك وأهانه وأنت تقول بأنه قرأ آيةً من القرآن؟ وظنَّ أنهُ أصاب الوزير في مقتل، لكنَّ الملك قال له: إن كذبَهُ أحسنُ من صدقِك.

وهنا لابدَّ من التفريق بين الكذب ذي المصلحة والكذب الذي يجرُّ نفعًا لقائلهِ بغير استحقاق، أو يدرأ عنه ضررًا هو مستحقٌّ له، وفرقٌ بين المصلحة والمنفعة، فالأولى تدور مدار الحقيقة وترعاها وهي المنظورة حال الصدق، والثانية تدور مدار الذات ورغائبها، وهي المنظورة حال الكذب، وقد ورد عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أنهُ قال: أقبح الصدق ثناء المرء على نفسه.

٨ قـــــــــاف

١٦ الكلـــم الطيـــب

٢٢ حتى يتفقهوا

٣٠ بلسانٍ علويٍّ مبين

٣٨ الصراط المستقيم

٥٠ لسان الأُمة

٦٠ قرة الأعين

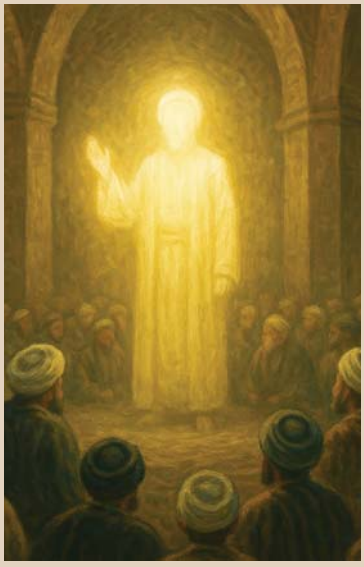

٧٠ شـؤون دولـيـــة
٨٢ الشرق والغرب
٩٢ ذاكرة الأُمـم
٩٨ تراث مكتبة الروضة
١٠٢ يراع العلماء
١١٢ لاذوا بالجـــوار

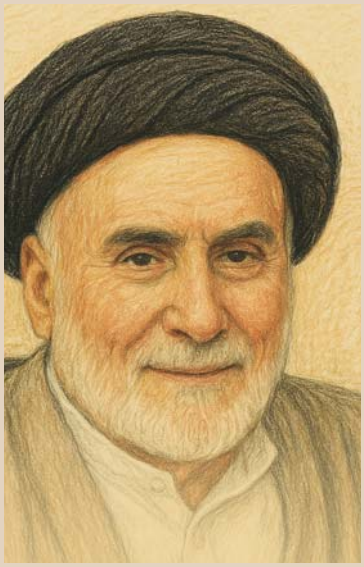

قـــــاف

التفسير المفهومي في ضوء تراث الإمام الرضا (عليه السلام)

م.د ساجـد صباح العسكري
جامعة الإمام الصادق- ذي قار

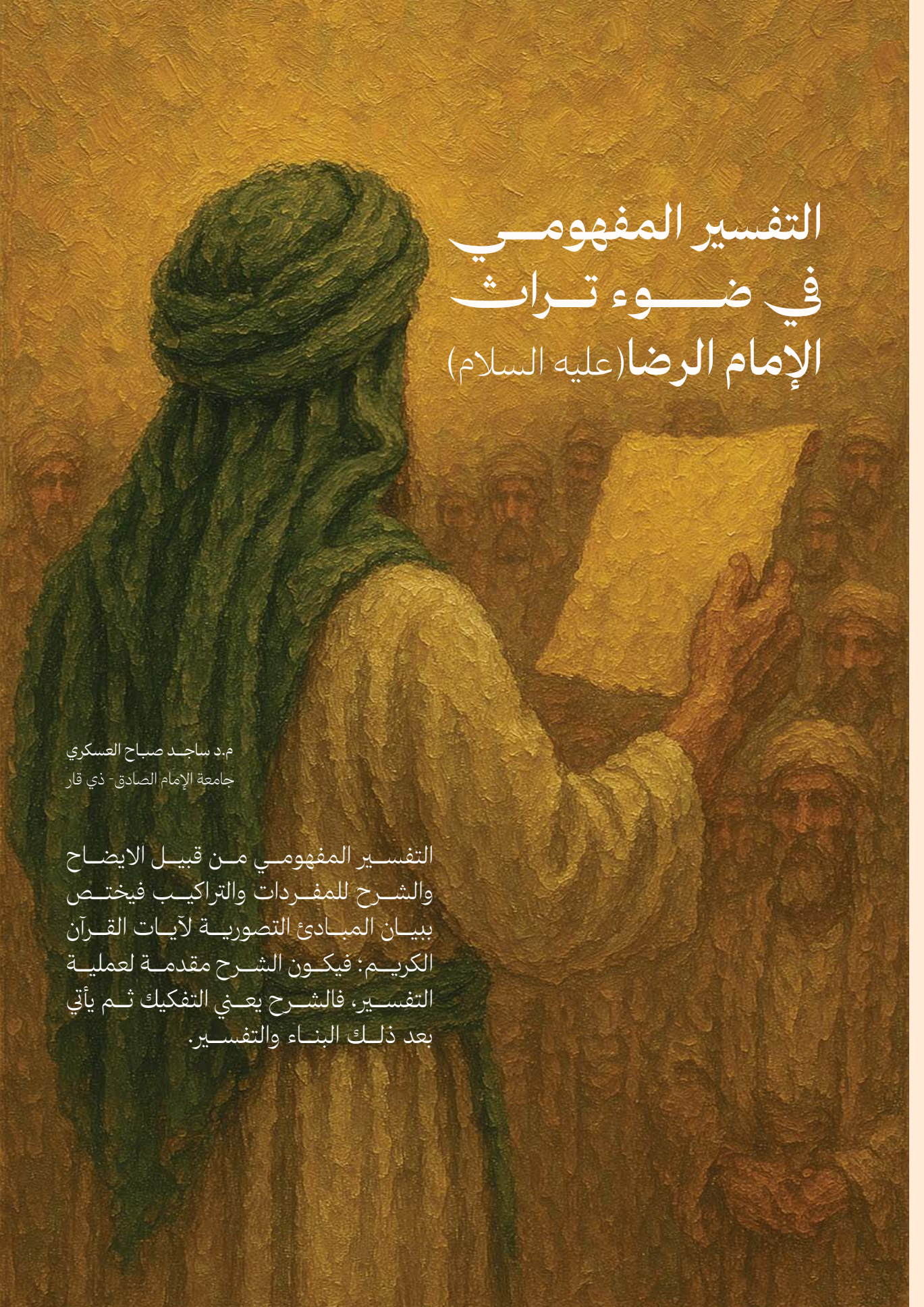

التفسير المفهومي في ضوء تراث الإمام الرضا (عليه السلام)

م.د ساجد صباح العسكري
جامعة الإمام الصادق- ذي قار

التفسير المفهومي من قبيل الايضاح والشرح للمفردات والتراكيب فيختص ببيان المبادئ التصورية لآيات القرآن الكريم: فيكون الشرح مقدمة لعملية التفسير، فالشرح يعني التفكيك ثم يأتي بعد ذلك البناء والتفسير.

أشـار الذهبـي إلى اختـلاف العلـماء في علـم التفسـير هـل هـو مـن قبيـل التصـورات أو مـن قبيل التصديقـات؟ فذهـب بعضهـم إلى أنـه مـن قبيـل التصـورات؛ لأن المقصـود منـه تصـور معانـى ألفاظ القـرآن الكريـم، وذلـك كلـه تعاريـف لفظيـة، وقـد صرَّح بهـذا الحكيـم على المطـوَّل وأثبـت أنَّ لكل علم مسـائل فإنـما هـو فى العلـوم الحكميـة، وأمـا العلـوم الشرعيـة والأدبيـة فـلا يتأتـى في جميعهـا ذلـك، فـإن علـم اللغـة ليـس إلا ذكـر الألفـاظ ومفهوماتهـا، وكذلـك التفسـير والحديـث[١].

ولهذا الأسـلوب مـن التفسـير تطبيقـات كثيرة في مرويـات الإمـام الرضـا عليه السلام، ونحـن سـنقف في هـذا المقـال عـلى بعضهـا مـن بـاب التمثيـل لا الحـصر، ونـأتي بالروايـات ضمـن عنـوانٍ مركزيٍّ لـكل طائفةٍ منها .

أولًا: بيان المعنى المعجمي للفظ

ممـا ورد عـن الإمـام الرضـا عليه السلام في بيـان المعنـى المعجمـي للمفردات القرآنية لفظ الختم في قوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [البقـرة: ٧] أنه الطبع عـلى قلـوب الكفـار، واُسـتدل بقولـه تعـالى: ﴿**بَل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء: ١٥٥][٢].

فالإمـام عليه السلام أرجع اللفظ لأصل اسـتعماله اللغوي وهـذا مـا ذكرتـه معاجـم اللغـة[٣]، وعزز ذلـك ببيانٍ مـن القرآن الكريـم، فاسـتعمل المنهج اللغـويّ الذي لا يمكـن الاسـتغناء عنـه في فهـم النـص القـرآني مشـفوعًا بالمنهـج القـرآني في تفـسير النـص القـرآني تحديـدًا في تفـسير لفـظ (الختم).

ومـن مصاديـق بيـان المعنـى المعجمـي لألفـاظ القـرآن الكريـم الواردة عـن الإمام الرضـا عليه السلام ما جاء في بيان معنـى (البخس) في قوله تعالى: ﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**﴾ [يوسـف: ٢٠] فقـد روى العيـاشي بسـنده عـن أبي الحسـن الرضـا عليه السلام أنـه قـال: ((البخـس: النقـص، وهـي قيمـة كلب الصيد إذا قتل كانـت ديتـه عشرين درهمًـا))[٤].

وهـذا المعنـى نفسـه ورد في معاجـم اللغـة[٥]، إلا أن الإمـام ذكـر مصـداق للبخس يتناسـب مع سـياق الآيـة وبيان مقـدار الدراهم تنبيهًا لملحـظ دلالي يُفيده معنـى (البخس) وهـو نقصان الحـقّ لا مطلق النقص ومن لوازمـه الظلم[٦].

ثانيًا: تحديد دلالة المشترك اللفظي

ورد في القرآن الكريمُ كثير من الألفاظ التي لها أكثر من معنى بحسب الاستعمال، ويتحدد معناها من خلال السياق تارة أو من خلال قرائن أخرى، وهو ما يسمى بالوجوه والنظائر في اصطلاح المفسرين، وقد عرّفها ابن الجوزي بقوله: «أنْ تكون كلمةٌ واحدةٌ ذُكرت في مواضع من القرآن على لفظٍ واحدٍ، وحركة واحدة، وأُريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه، فإذن النظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني»[٧].

وعند مطالعة الروايات المروية عن الإمام الرضا عليه السلام نجد تطبيقات للوجوه والنظائر، فقد فسر الإمام الرضا عليه السلام لفظ (نقدر) في قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] عدم التضييق في الرزق بقوله: ((إنما ظن بمعنى استيقن ان الله لن يضيق عليه رزقه الا تسمع قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٦]، أي: ضيق عليه رزقه ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر))[٨].

فرغم أن المفردة من المشترك اللفظي الذي له أكثر من استعمال في القرآن الكريم إلا أن الإمام عليه السلام حدد دلالته من خلال الرجوع للقرآن الكريم نفسه وبذلك دفع الإمام الشبهة التي لا تنسجم مع القول بعصمة الأنبياء.

كما فسر الإمام الرضا عليه السلام لفظ قضى في قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]، بمعنى الخلق، «فَقَضٰاهُنَّ أي: خلقهن»[٩]، مع أنه مشترك لفظي وله عدة استعمالات، ففي الرواية عن الرضا عليه السلام أنه قال: ((للقضاء أربعة أوجه في كتاب الله تعالى الناطق على لسان سفيره الصادق، منها: قضاء الخلق، وهو قوله تعالى: ﴿فقضيهن سبع سماوات في يومين﴾، والثاني: قضاء الحكم، وهو قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩] معناه: حكم، والثالث: قضاء الأمر، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] ومعناه: أمر ربك، الرابع: قضاء العلم، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤]، معناه: علمنا من بني إسرائيل))[١٠].

إلا أن الإمام عليه السلام حدد استعمال (قضى) في الآية المتقدمة بمعنى الخلق دون غيره من المعاني؛ لتناسبه مع سياق الآية.

ثالثًا: شرح المفهوم وايضاحه

روى ابن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال: ((سألته عن قول الله: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦]، قال: اللّذان منكم مسلمان، واللّذان من غيركم من أهل الكتاب، فإن لم تجدوا من أهل الكتاب فمن المجوس؛ لأنّ رسول الله، قال: سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب، وذلك إذا مات الرجل المسلم بأرض غربة فطلب رجلين مسلمين يشهدهما على وصيّته، فلم يجد مسلمين يشهدهما فرجلين من أهل الكتاب مرضيّين عند أصحابهما))[١١].

وروى الشيخ الصدوق بسنده عن عن محمد بن سنان: ((إن أبا الحسن الرضا ﷺ كتب إليه في ما كتب من جواب مسائله سميت مكة مكة لأن الناس كانوا يمكون فيها وكان يقال لمن قصدها: قد مكا وذلك قول الله عز وجل: ﴿**وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً**﴾ [الأنفال: ٣٥]، فالمكاء: التصفير، والتصدية: صفق اليدين))[١٢].

وروى العياشي بسنده عن أبي القاسم الفارسي، قال: ((قلت للرضا ﷺ: جعلت فداك إن الله يقول في كتابه ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ [البقرة: ٢٢٩] ما يعني بذلك؟ قال: أما الإمساك بالمعروف فكف الأذى وإجباء النفقة، وأما التسريح بإحسان فالطلاق على ما نزل به الكتاب))(١٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ**﴾ [الرحمن: ١٢]، قال: ((الحب الحنطة والشعير والحبوب والعصف التين والريحان ما يؤكل منه))[١٤].

وروي عنه ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**﴾ [الأنعام: ١٤١]، أنه قال: ((وآتوهن الضغث من الزرع، والقبضة من التمر، تعطيه من يحضرك من المساكين))[١٥].

---

١. ظ: الذهبي، التفسير والمفسرون: ٢٥.
٢. ظ: الصدوق، عيون أخبار الرضا: ١/ ١٢٣.
٣. ظ: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٢٤٥.
٤. تفسير العياشي: ٢/ ١٧٢.
٥. ظ: ابن منظور، لسان العرب: ٦/ ٢٤.
٦. ظ: حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١/ ٢٤٣.
٧. ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر: ٨٣.
٨. الصدوق، عيون أخبار الرضا: ١/ ١٧١.
٩. تفسير القمي: ٢/ ٢٣٥.
١٠. الصدوق، فقه الرضا: ٤١٠.
١١. تفسير العياشي: ١/ ٣٤٩..
١٢. علل الشرائع، الصدوق: ٢/ ٣٩٧.
١٣. تفسير العياشي: ١/ ١١٧.
١٤. المجلسي، بحار الأنوار: ٦٠/ ٧٤.
١٥. المحدّث النوري، مستدرك الوسائل: ٧/ ٩٣.

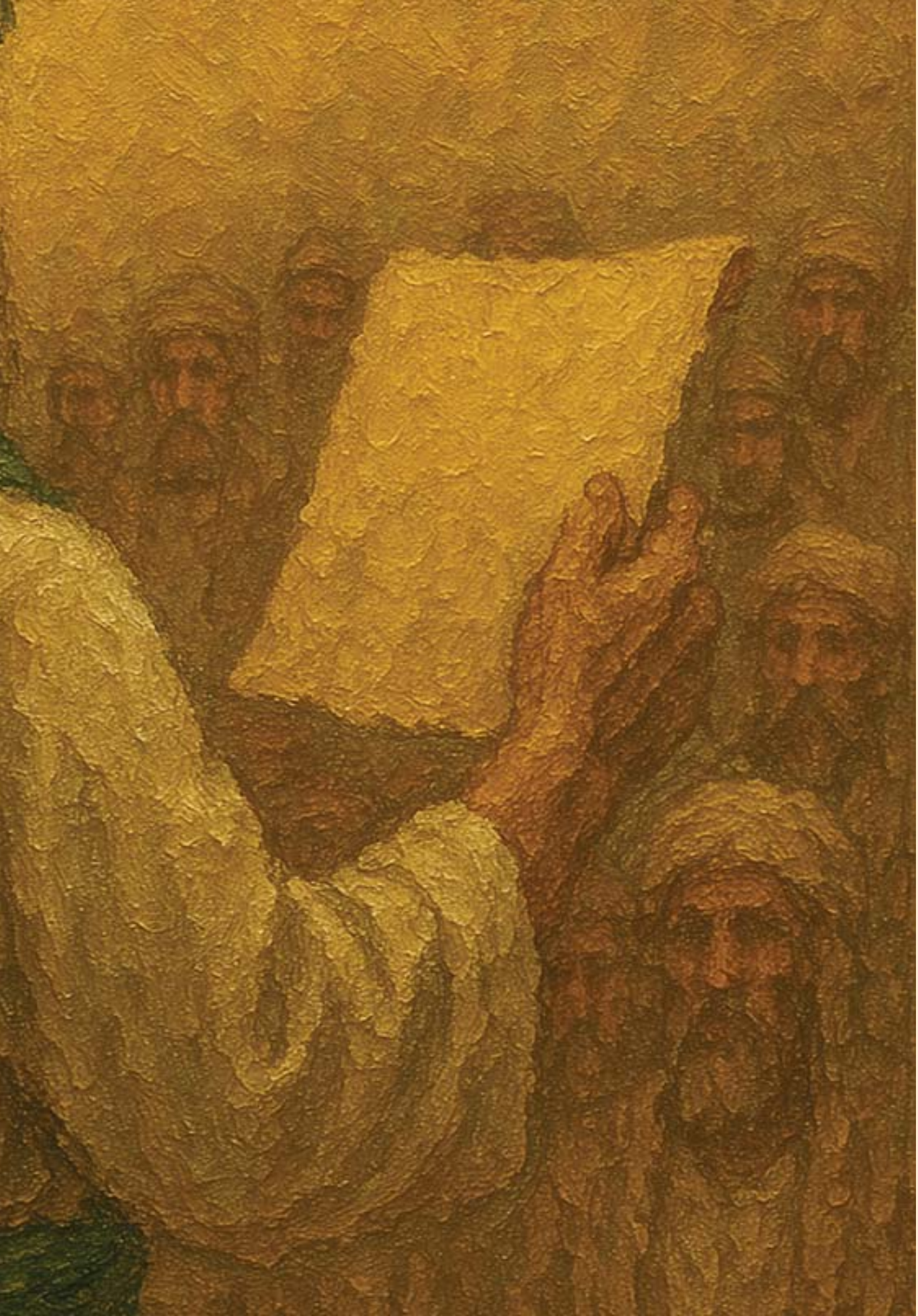

الاستدلال القرآني عند الإمام الجواد(عليه السلام) وأثره في تحديد موضع قطع يد السارق

ورد في تفسير العياشي عن زرقان ابن أبي دواد قال:

((إن سارقًا أقرَّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر محمد بن علي فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أن يقطع؟

قال: فقلت: من الكرسوع.

قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: قلت: لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع، لقول الله في التيمم ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣] واتفق معي في ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق.

قال: وما الدليل على ذلك؟

قالوا: لأن الله لما قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]، في الغسل دلَّ ذلك على أن حد اليد هو المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي (عليه السلام) فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

فقال :قد تكلم القومُ فيه.

قال: دعني مما تكلموا به! أي شئ عندك؟

قال اعفني عن هذا.

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال: أما إذ أقسمت عليَّ بالله إني أقول إنهم أخطأوا فيه السنة، فان القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف.

قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: قول رسول الله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبقَ له يد يسجد عليها وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لله﴾ [الجن: ١٨] يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ الله أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وما كان لله لم يُقطع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف))(١).

١- ظ: تفسير العياشي ١/ ٣١٩-٣٢٠، ظ: المجلسي، بحار الأنوار ٥٠/ ٥.

الكلم الطيب

الأحاديث النبوية ومفهوم
علـم الروايـــة والدراية

م. د إلهام حمد عيسى
جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

م. د. إلهـام حمـد عيسى
جامعة الكوفة / مركز دراسات الكوفة

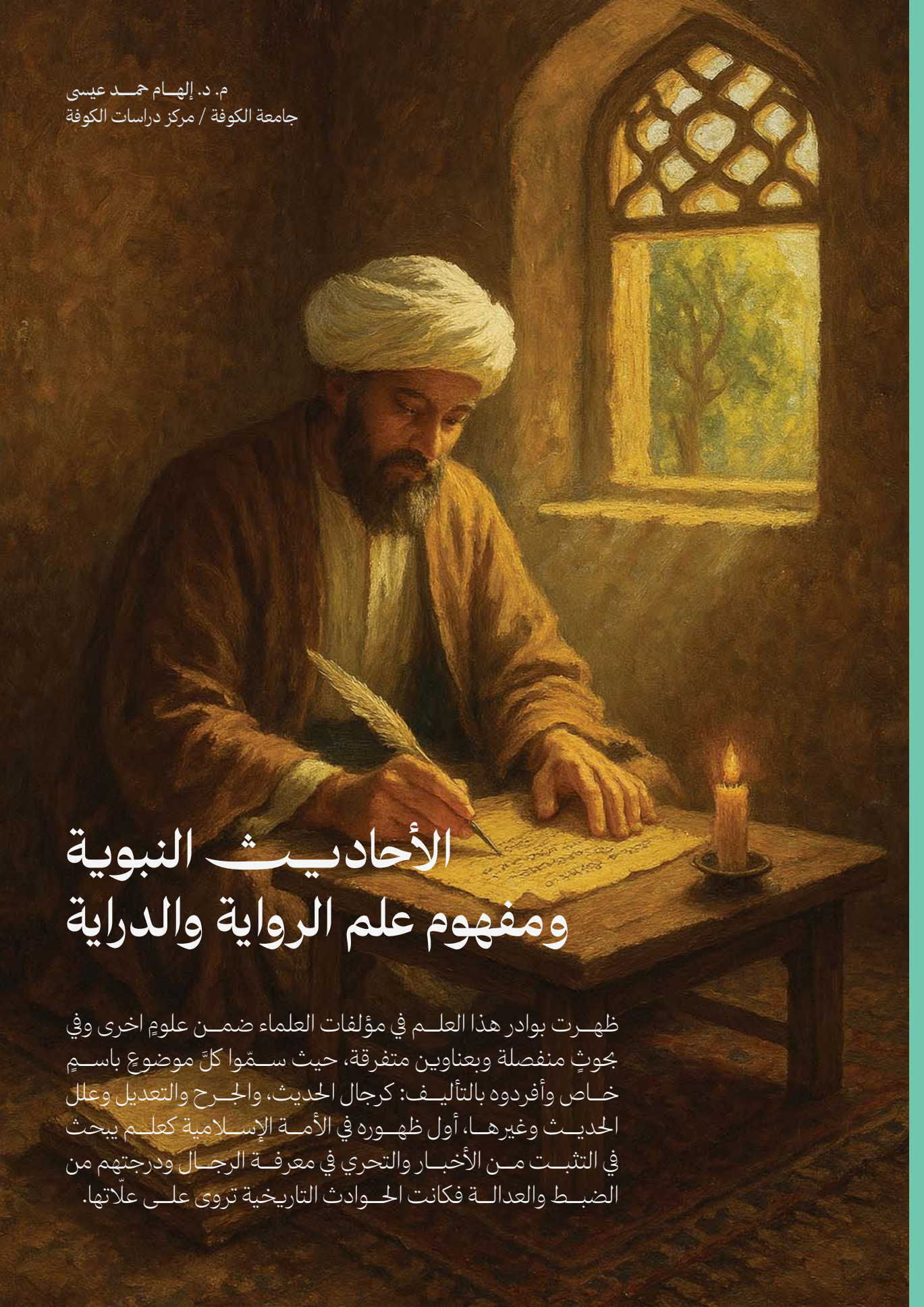

الأحاديث النبوية ومفهوم علم الرواية والدراية

ظهـرت بوادر هذا العلـم في مؤلفات العلماء ضمـن علومٍ اخرى وفي بحوثٍ منفصلة وبعناوين متفرقة، حيث سـمّوا كلَّ موضوعٍ باسـمٍ خـاص وأفردوه بالتأليـف: كرجال الحديث، والجـرح والتعديل وعلل الحديـث وغيرهـا، أول ظهـوره في الأمـة الإسـلامية كعلـم يبحث في التثبـت مـن الأخبـار والتحري في معرفـة الرجـال ودرجتهم من الضبـط والعدالـة فكانت الحـوادث التاريخية تروى علـى علّاتها.

تحظى معرفة المصطلحات والإحاطة بها بأهمية كبيرة؛ لأن الغرض المتوخى منها هو تعلم تلك العلوم وتطبيقها، ولا سيما وأموره تتعلق بالحديث الذي صدر من رسول الله ﷺ من قولٍ أو فعلٍ وتقريرٍ، وقد استعمل كاصطلاح (علم الحديث) يطلقونه بإطلاقين، علم الحديث دراية وعلم الحديث رواية الذي يمثل تطبيقا عمليا لعلم الحديث دراية، وقد شكلت الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[الحجرات: ٦] مبدأ التثبت من الأخبار وقد طُبق منذ عهد النبي ﷺ ومما جاء في فضل علم الحديث قوله ﷺ: ((ليبلغ الشاهد الغائب، فإنّ الشاهد عسى أنْ يبلغ من هو أوعى له منه))، وفي صحيح زرارة عن الصادق عليه السلام قال: ((أما لو أنّ رجلا قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان))[1].

ظهرت بوادر هذا العلم في مؤلفات العلماء ضمن علوم اخرى وفي بحوث منفصلة وبعناوين متفرقة حيث سموا كُلَّ موضوعٍ باسمٍ خاصٍ وأفردوه بالتأليف: كرجال الحديث، والجرح والتعديل وعلل الحديث وغيرها، أول ظهوره في الأمة الإسلامية كعلم يبحث في التثبت من الأخبار والتحري في معرفة الرجال ودرجتهم من الضبط والعدالة فكانت الحوادث التاريخية تروى على علّاتها[2].

علم الرواية: ويُعرف بعلم الأسانيد والمتون: وهو أول علوم الحديث، ويُدرس هذا الفرع من علم الحديث سلسلة الرواة (الإسناد) التي تنقل الحديث من النبي ﷺ إلى المحدث الذي يسجله أو هو نص الحديث نفسه أو متنه وهو ما أضيف إلى النبي ﷺ أو إلى الصحابي من جهة العناية بنقل ذلك وضبطه وتحرير ألفاظه، يهتم هذا العلم بصحة السند وفق قواعد عامة أو قرائن تشير إلى صحة الرواية المروية ثم موثوقية الرواة وتتبع السلاسل السندية لتحقيق صحة الأحاديث في بيان معاني تلك السنن[3].

وقد اشترط أئمة الحديث على إسلام الراوي وبلوغه وعقله كذلك اشتراط عدالته (سليما من أسباب الفسق وخوارم المرؤة) أي يكون حافظا متيقظاً إنْ حدَّثَ من حفظه ضابطا لكتابه إن حدث منه عارفا بما يختل به المعنى أن روى به[4].

علم الدراية: يتعلق هذا الفرع من فروع علم الحديث بالبحث فيه عن سند الحديث ومتنه وكيفية تحمله وآداب نقله[5]، أي يُعنى بالحالات العارضة – التي تطرأ مرة على السند وأخرى على المتن – من جهة رجال السند جملةً واحدةً بأنهم ثقات إماميون فهو الصحيح، وأخرى ثقات غير إماميين فهو الموثق، وربما كانوا إماميين ممدوحين غير منصوص على توثيقهم فالحديث حسن وإلا فالحديث ضعيف، وأما من جانب المتن مثل النص والظاهر والمجمل والمبين والمحكم والمتشابه والمضطرب وهذه المحمولات هي الأحوال العارضة للحديث من جانب وهي من مسائل هذا العلم[6].

وبمعنى آخر فهو يهتم بفهم معاني الكلمات وتحليل بنية الجمل والتعبيرات اللغوية المستخدمة

في الأحاديث النبوية كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((اعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ))[٧]، يساهم علم الدراية في فهم دقيقٍ للنصوص الحديثية وتفسيرها وتفسير معانيها بشكلٍ صحيح، يعتبر علم الدراية أساسيًا، حيث يمكن أن يتضمن هذا الفرع دراسة مفردات الحديث، وتحليل الجمل والتعابير اللغوية المستخدمة في الأحاديث، وفهم السياق اللغوي والثقافي الذي نشأت فيه هذه الأحاديث، كذلك يبحث فيه عن أحوال الراوي والمروي من حيث القبول والرد وهو ما يعرف بسند الحديث، والذي تعرف به حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها وحال الرواة وشروطهم وأصناف المرويات وفقهها وهو يخدم علم الرواية باعتباره (العلم المخصوص بالدراية بين المخصوص بالرواية)، أوّل من دونه أبو عبد الله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، في كشف الظنون ثم تبعه إبن صلاح الحافظ الشافعي (ت٦٤٣هـ)[٨].

ظهرت بوادر هذا العلم في كتب الشيعة، فنجدها عند الشيخ الطوسي حيث طرحها في كتبه ككتاب (عدة الأصول)، وفي القرن السادس الهجري ألّف القطب الراوندي (ت٥٧٣هـ) في كتابه (رسالة في أحوال الأخيار) وفي السابع الهجري بن طاووس الحلي (ت٦٧٣هـ) في كتابه (حل الإشكال في معرفة الرجال) ثم تبعها مؤلفات عدة لعلماء الشيعة أبرزها (كتاب البداية في علم الدراية) للشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ) جمع ما كان متناثراً في الرسائل والكتب من آراء سلفه من العلماء[٩].

الهدف من العلم هو:

تحقيق السند: تأكيد صحة سلسلة الرواة وتحديد موثوقيتهم ودقة نقلهم للحديث، دراسة الرواة: يشتمل هذا الجانب على دراسة حياة وأحوال الرواة ودقة ذاكرتهم ومدى دقة نقلهم للأحاديث.

تحديد الضعفاء والمعتبرين : يقوم علماء الحديث في هذا المجال بتحديد الرواة الضعفاء الذين لا يمكن الاعتماد على رواياتهم، بالإضافة إلى تحديد الرواة المعتبرين الذين يعتمد عليهم في نقل الأحاديث.

تصحيح النصوص: يتضمن هذا الجانب تصحيح النصوص الحديثية وتحديد الأخطاء والالتباسات التي قد تكون حدثت خلال نقل الأحاديث عبر السلاسل السندية.

تحليل السند والمتن: يتمثل هذا في تحليل السلسلة السندية ونص الحديث لتحديد صحته وصدقيته وموثوقيته، أي تمييز الأخبار المعتبرة عن غيرها ثم العمل على وفقها وعليه تكون الغاية مشتركة بين الدراية وعلم الرجال[١٠].

لتكون في النهاية غايته هو معرفة الاصطلاحات المتوقف عليها معرفة كلمات الاصحاب، واستنباط الاحكام، وتميز المقبول من الأخبار ليعمل به، والمردود ليجتنب منه، وإذا وقف على مقاصده انتقل إلى قراءة الحديث بالرواية فهو يشتمل على أبواب الفقه وأحاديثه[١١].

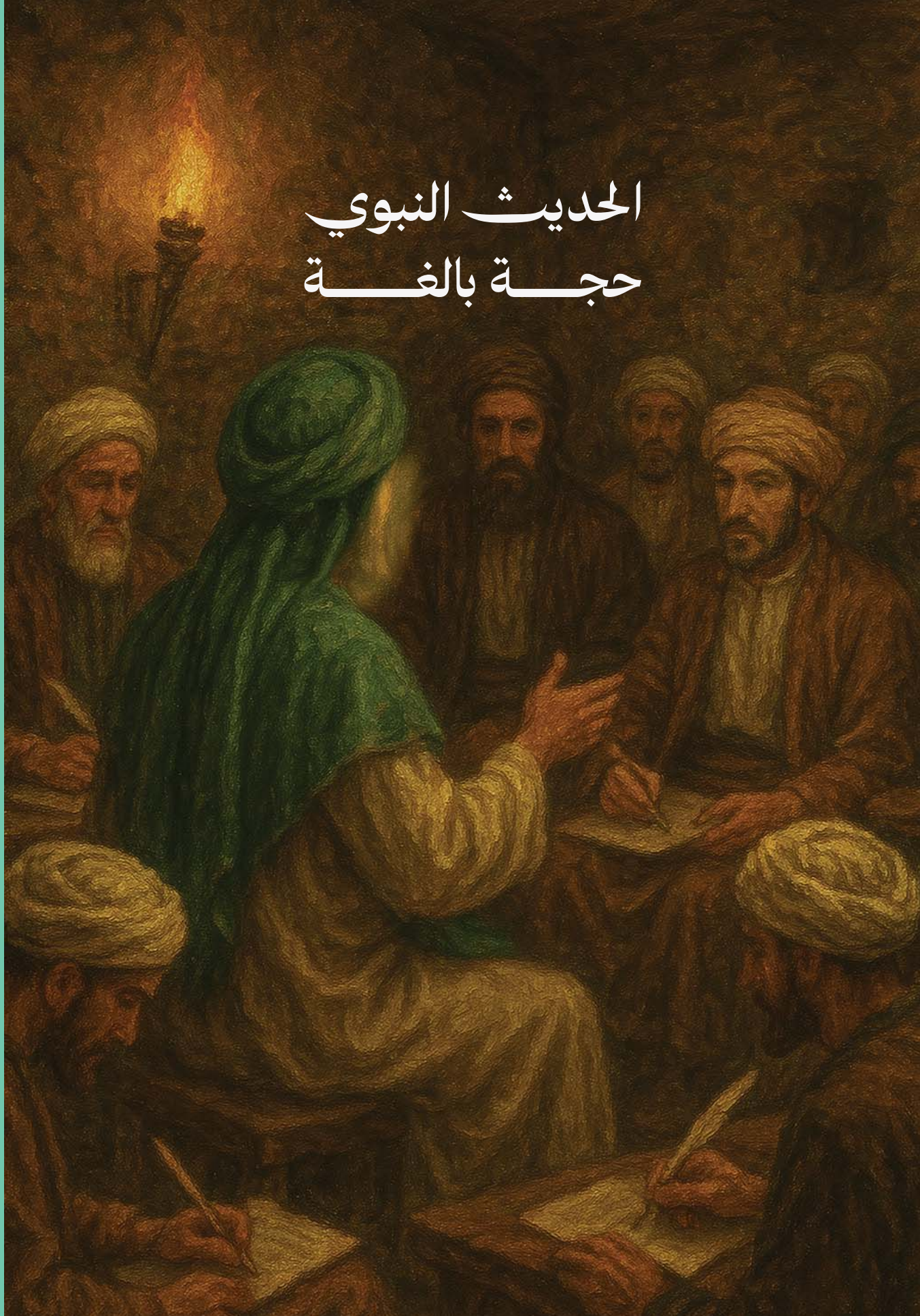
الحديث النبوي
حجـــة بالغـــة

قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، نجد في هذه الآية الكريمة دليلا لإبطال ادعاء المشركين، ويقول: قل: إن الله أقام براهين جليةَ ودلائل واضحةً وصحيحةً على وحدانيته، وهكذا أقام أحكام الحلال والحرام سواء بواسطة أنبيائه أو بواسطة العقل، بحيث لم يبق أيُّ عذرٍ لمعتذر: قل فلله الحجة البالغة.

وعلى هذا الأساس لا يمكن أنْ يدعي أحدٌ أبدا أنَّ الله أمضى عقائدهم وأعمالهم الباطلة، وكذلك يسعهم قط أنْ يدعوا أنّهم كانوا مجبورين؛ لأنهم لو كانوا مجبورين لكان إقامة الدليل والبرهان، وإرسال الأنبياء وتبليغهم ودعوتهم لغوا، إن إقامة الدليل دليل على حرية الإرادة.

ومع ملاحظة لفظة **"بالغة"** يتضح أنَّ الأدلة التي أقامها الله للبشر عن طريق العقل والنقل وبواسطة العلم والفكر، وكذا عن طريق إرسال الأنبياء واضحة لا لبس فيها من جميع الجهات، بحيث لا يبقى أيَّ مجالٍ للترديد والشك لأحد؛ ولهذا السبب نفسه عصم الله سبحانه أنبياءه من كلِّ خطأ ليبعدهم عن أي نوع من أنواع التردد والشك في الدعوة والإبلاغ[1].

بناءً على ما تقدّم فإنّ جميع الأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت في حقّ أمير المؤمنين عليه السلام تدخل في هذه الآية فهي حجةٌ بالغةٌ على المسلمين، و الأحاديث و الشواهد أكثر من أنْ تُحصى، ومنها: حديث الدار، و حديث المنزلة و حديث الغدير و حديث الطائر المشوي و حديث المباهلة، و هناك الكثير من الأحاديث التي نقلها جميع المسلمين على مختلف اتجاهاتهم فهل بعد كل هذه الأحاديث توجد هناك حجة للناس على الله وهل هناك مفرٌّ لأحدٍ يوم القيامة بأن يحرّف معنى هذا الحديث أو ذاك؟! نسأل الله أنْ نكون من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

١- ناصر الشيرازي، تفسير الأمثل: ٤/ ٥٠٧.

حتى يتفقهوا

حيثيات اختيار كون المرجع أعلى عند الشيعة الإماميــة

السيد علي السيد محمد حسين الحكيم
أستاذ في الحوزة العلمية/ النجف الأشرف

حيثيات اختيار كون المرجع أعلى عند الشيعة الإمامية

السيد علي السيد محمد حسين الحكيم
أستاذ في الحوزة العلمية/ النجف الأشرف

بعد أن دار الحديث على المرجعية وكيفية اختيارها، وما رأيت من الأخذ والرد وعدم وضوح ذلك عند البعض أحببت أن أكتب عنها بما يجود به الفكر القاصر مما تعلمناه في أروقة الحوزة العلمية من أفاضل أساتذتنا الكرام بما لا يكون تطويلا مملًا ولا إيجازا مخلا أسأل به النفع لنفسي ولمن يروم النفع ومن الله التسديد وما يكون فيه من خلل فلست معصومًا، راجيا بيانه من الإخوة الأكارم.

اختيار المرجعية له حيثيات خمس:

الحيثية الأولى: (التسديد الإلهي)

لا بد أن يكون الاختيار الرباني حاضرًا في كلّ ما يرجع أمره له جلّ وعلا، وحيث كان منصب المرجعية منصب نيابةٍ عامةٍ عن الإمام في عصر الغيبة فلا بد أن يكون عنصر التسديد الرباني حاضرًا ولكن بحدود، وهو أن الله تعالى بما أنه يريد لهذا الدين البقاء حجةً على خلقه إلى يوم ظهور القائم عجل الله فرجه الشريف فلا بُدَّ أن يكون من يحمل هذه الرسالة ليوصلها بما هي مسددًا من الله تعالى بما يتلاءم وظروف تلك المرحلة.

والمقصود من التسديد ليس هو الإجبار وسلب الاختيار، وإنما تهيئة الظروف المناسبة؛ ليكون هو المرجع الأبرز بين المراجع كي يرجع إليه في إدارة شؤون الطائفة مع ما يتناسب وكل مرحلة، وهذا ما شاهدناه عياناً منذ بدء عصر الغيبة لكل مرجع تؤول إليه المرجعية العليا مع تعدد المراجع في زمنٍ واحدٍ ولكن كلهم يكونون في طريق خدمة الدين والمذهب ولا حاجة لإطالة الكلام في الشواهد والأمثلة وذكر المراجع، وكيف حصل لهم التسديد، لأنه أمر يمكن البحث عنه بسهولة بالرجوع لتاريخهم وسيرتهم.

فالمقصود أن يد الغيب لا بد أنّ تتدخل بما يراه عزَّ وجلَّ من مصلحةٍ وإن تهيأت الظروف كلها لغير من تختاره إرادة السماء فالظروف المحيطة والعوامل الأخرى التي سنذكرها لوحدها لا يمكن أنْ تفرض المرجع الأعلى إذا لم تسدده يد الغيب.

كما أن لنيَّةِ مَن يتصدى للمرجعية وإخلاصه وذوبانه في الله تعالى وخدمة دينه دورًا كبيرًا في هذا التسديد، بخلاف من يدخل في نفسه أدنى نية للمظاهر الدنيوية ومنافعها والله أعرف بالقصود والمنيات؛ لأنه قال: ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ [ق: ١٦]

طبعًا حينما تقول: إنَّ من يكون المرجع الأعلى لا بد أنْ يكون مسددًا لا يعني ذلك عدم تسديد من لم يكن مرجعًا أعلى؛ لان إثبات شيءٍ لشيءٍ لا يلزم نفيه عن غيره، وإنما أريد أن أقول إنَّ من يكون مرجعًا أعلى لا بد وأنْ يكون مسددًا ولا مانع من كون غيره مسددًا أيضا، لكن من موقعه وخدماته فلا تقتصر خدمة المذهب على كونه مرجعًا أعلى، فما أكثر ما قدمه لنا مراجع عظام لم يكن أحدهم مرجعًا أعلى بتسديد الله لهم، بل إن بعضهم بتسديد الله له لا يُبتلى بالمرجعية العليا لإمكانه أن يخدم الدين من خلال موقعه أكثر من مشاغل المرجعية العامة ومسؤولياتها.

أرغب بأن أذكر قصة كشاهدٍ سمعتها من بعض أساتذتنا يقول: كان شخص يُرتقَب له أن يكون له شأنٍ في المرجعية ولكنه كان إذا ذكر صاحب العصر والزمان - أرواحنا فداه - لا يبدو منه القول بتعجيل الفرج! وبعد مدة حاول أحد حضّار مجلسه الاستفسار منه عن سبب ذلك فقال له إني أقوم بتأليف كتاب فقهي لأبين مدى ما عندي من العلم فإذا ظهر صاحب الزمان عليه السلام لا يكون لكتابي حاجة فأريد أن يُعرَف كتابي قبل ظهوره، فيقول: إنه لم يوفق لطباعة الكتاب، ولا

لمقامٍ علميٍّ مع ما كان له من علم.

هذا كشاهد على أثر القصد والنية في التسديد الالهي مع مناسبة الشخص ومكانته، وما حصل لنا مشاهدة مع أعلامنا من إخلاص لله وقصد القربة في تصديهم للمرجعية وصفاء نية لله تعالى، وعدم اللهث خلف منصب، أو اسم أو جاه ما يفوق حد الإحصاء، وما رأيناه من تسديد ربّانيّ لهم بخدماتهم بحيث لو أردنا الاستقصاء لطال بنا المقام وخرجنا عن الغرض من الفائدة.

ولا أريد أن أتعرض لأسماء أشخاص للمحذور الشرعي إلا بما فيه شاهد أو من أجل توثيق النقل.

ثم التسديد الإلهيِّ أمرٌ غيبيٌّ راجعٌ لله تعالى بلحاظ مجموع المصالح المحيطة بالموضوع، ولا ينظر لها من جانب واحد كما انها غير تابعة للاختيار البشري وإنما الله تعالى لا بد أن يحفظ دينه والمذهب الحق من ظلم الظالمين فلا بد من وجود راعٍ لهذا الدين ما دام صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف غائبًا، ولا يقصد من التسديد للمرجع خذلان غيره، بل الطائفة المحقة ما بقيت وانتشرت وقويت دعوتها إلا بالتسديد الإلهي لها ولمراجعها الأكارم، فالمقصود أنَّ مَن يريد أن يستغل منصب المرجعية العليا لمصالح دنيوية أو شخصية تضر بالطائفة والمذهب فإن الله تعالى لن يسدده لذلك حفاظًا على الحق والحقيقة، بخلاف مَن يكون قصده من التصدي هو خدمة الدين والحقيقة وإعلاء كلمة الحق، بل إن تسديد الله تعالى لبعض الأعلام بعدم ابتلائه بالمرجعية العليا لعلمه تعالى أنه يمكن أن يقدم لدينه وطائفته خدماتٍ أكثر من انشغاله بمشاغل المرجعية العليا ولوازمها، فالتسديد هو كالعدل وهو وضع الشيء في موضعه المناسب، كما أن تعدد المراجع قد يكون له حكمة كبيرة بحفظ المذهب وبقائه كما تعرض لذلك سماحة سيدنا الأستاذ السيد محمد سعيد الحكيم قدس سره[1].

﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣] بعد أن تبنّى مذهب أهل البيت عليهم السلام فتح باب الاجتهاد فكان من الطبيعي بل من بركات ذلك تعدد المجتهدين وتطور العلم بكثرة البحث والدرس والتدريس، وما ذلك إلاَّ ببركات صاحب العصر والزمان، وتسديد الله وتوفيقه، وما تركه لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام من تراثٍ يغنينا عن اللجوء لغيرهم، ولذا كانت يد الغيب ترعى هذا المذهب من المندسين لو حاولوا تشويه المذهب والقفز على الحقيقة، وإضلال الناس وإبعادهم عن دينهم.

الحيثية الثانية: (ما يرجع الى المجتهد)

قد يشتغل الإنسان بطلب العلم بدراسة فقه أهل البيت، وبعد تدرجه بالدرس في التدريس قد يحصل لبعض طلبة العلم ملكة الاجتهاد وهي القدرة على استنباط الاحكام الشرعية من مصادرها من دون الحاجة للرجوع إلى الفقيه الأعلم، وحينئذ يكون الشخص عالمًا بالحكم الشرعي فلا يجوز له تقليد غيره؛ لأن صحة التقليد منوطة بجواز رجوع الجاهل للعالم، وبما أنه صار قادرًا على معرفة حكمه الشرعي من دون رجوع لغيره فلا يجوز له التقليد ويكون مجتهدًا، وهذه الملكة بما أنها من الأمور المشككة يعني التي تقبل الزيادة والنقيصة مثل الرياضة التي تقبل القوة والضعف فقد تكون

لا بد أن يكون الاختيار الرباني حاضرًا في كلّ ما يرجع أمره له جلّ وعلا، وحيث كان منصب المرجعية منصبُ نيابةٍ عامةٍ عن الإمام عجل الله فرجه الشريف في عصر الغيبة لا بد أن يكون عنصر التسديد الرباني حاضرًا

عند شخصٍ أقوى منها عند الآخر، ويكون أقدر وأكفأ في استنباط الحكم الشرعي من غيره من المجتهدين، فيرى نفسه أعلم من غيره، وأنَّهُ يجب عليه إظهار علمه إبراءً لذمته من أجل أن يأخذ الجاهل بالحكم الشرعي منه بما أنه يرى أنه الأقدر والأكفأ من غيره، فعليه أن ينظر بينه وبين الله تعالى أنه يريد إبراء ذمته من ذلك فينال التسديد الإلهي لخدمة هذا الدين ويوفق لما فيه الخير.

ثم إنّ هذه المرحلة من أخطر المراحل في حياة المجتهد، من حيث تسويل الشيطان – والعياذ بالله – والنفس الأمّارة بالسوء، إذ قد يغفل الإنسان عن كثيرٍ من الأمور وتسوّل له نفسه أنه قد أصبح مجتهدًا، وأنه أعلم من غيره ولا يضاهي علمه أحد ولا حاجة لمراجعة أحد من الأساتذة أو أهل الخبرة، وقد يغريه الشيطان بأن ذلك لا يليق بمقامه، وغير ذلك من المزالق والعياذ بالله؛ ولذا سمعت كثيراً من أساتذتنا الأفاضل المخلصين لله في العمل التحذير من خطورة هذه المرحلة، والاعتداد بالنفس وحصول الجهل المركب، فعليه التوكل على الله وطلب الإخلاص في العمل، وأن يكون رجاؤه خدمة الدين واقعًا، وإظهار الحقيقة والوصول للحكم الشرعي الذي يبرئ ذمته أمام الله تعالى؛ لأنه سوف يتحمل مسؤولية عمل المكلفين المقلدين له، فقبل البتّ بذلك أن يكون على يقين من أدلته بحيث يكون مستعدًا للاستجواب الرباني عن كل حكم.

وأذكر قصة للنفع سمعتها من بعض أساتذتي الأفاضل أنَّ أحد العلماء دخل مكانًا للدرس وسمع شخصًا يدرّس طلابه وذكر رأيًا وأخذ بمناقشته، فجلس يبكي! فسأله بعض مَن كان معه عن سبب بكائه، فقال هذا الأستاذ ذكر رأيًا لي وناقشه مع أنّي لم أكن أقصد ما ذكره، فأخشى أني بمناقشتي للعلماء أكون مثل هذا المناقش قد فهمت غير ما أرادوا وتصورت أني أعلم منهم، وهذا عين الورع والتقوى في الفتوى وبذلك يكون تحت رعاية الله وتسديده إذا علم منه الإخلاص له تعالى ويبعد عنه مزالق الشيطان.

الحيثية الثالثة: (أهل الخبرة)

ثم يأتي السؤال هل يكفي في ذلك أن يرى نفسه قادرًا من دون رجوع لمن هو أسبق وأقدر منه، أم لا بد أن يراجع بذلك أساتذته أو من له خبرة بذلك ليطمئن أنه أصبح ذا ملكة لا أنَّهُ حصلت عنده شبهة ملكة، فيكون واقعًا بالجهل المركب وهو أنه جاهل بالوصول للحكم الشرعي وجاهل بأنه جاهل، بل يتصور كونه قد استنبط الحكم

الصحيح بينما هو مخطئ في طرق استنباطه ولذا تعارف أن يُمنح المجتهد غالبا إجازة اجتهاد من أحد اساتذته، او يكتب بحثا او مطلبًا علميًا فيشهد له من له خبرة بأ نه قد حاز ملكة الاجتهاد؛ لأنه لا يمكنه الاعتماد على قناعاته فقط؛ لاحتمال غفلته عن بعض الأمور التي أوجبت خللا عنده في الاستنباط من دون أن يلتفت، فإذا عرضها على أساتذته أو من هو أقدر منه قد يرشدوه إلى خللٍ في طريقة استدلاله وإذا شهدوا له بالوصول لملكة الاجتهاد ورأى نفسه أنه أقدر من غيره على ملكة الاستنباط طرح آراءه لكي يعمل بها من يثبت له أَنَّهُ أعلم من غيره، لأنه عليه – ما بينه وبين الله تعالى – أن يبرئ ذمته ببيان ما توصل إليه من الأحكام، والمقلّد عليه أن يبرئ ذمته إذا ثبت له أعلميته وجب عليه تقليده ابتداءً؛ ولذا يشترطون في ثبوت الأعلمية شهادة أهل الخبرة.

الحيثية الرابعة: (المقلدون)

أما بالنسبة لجانب المقلِّد فاللاَّزم عليه إذا بلغ سنّ التكليف أنْ يبحث عن المرجع الأعلم لكي يقلّده إن لم يكن هو قد بلغ مرحلة الاجتهاد أو لا يمكنه العمل بأحوط الأقوال، لوجوب براءة الذمة من امتثال التكاليف الشرعية اللازم الخروج عن عهدتها بطريق مُقَرٌ من قبل المشرّع الأقدس، وليس للمقلّد أي يد في جعل المرجع مرجعًا أعلى وإنما إذا قلد الأعلم وصار له شياع في تقليد الأكثر له تكون مرجعيته عامة، وعلى المكلف اختيار المرجع للتقليد ضمن الضوابط الشرعية المذكورة في كتب الفقهاء ولا يعتمد على ضوابط استحسانية أو لرغبات شخصية أو تعصب قَبَلي أو قومي أو دوافع لا توجب براءة الذمة أمام الله تعالى والخروج عن عهدة التكاليف الشرعية، وما ذكره الأعلام من ضوابط هي[٢]:

الأول: الاجتهاد: كما مرَّ تفصيل معناه فيما يخص المجتهد نفسه، ولا يكفي دعوى المجتهد نفسه الاجتهاد بحق مقلّديه، بل لا بدّ من ثبوته بأحد الثوابت الشرعية، ولا يمكن للمقلّد أن يشخّصها بنفسه لعدم قدرته على ذلك؛ لأن التشخيص يحتاج كونه من أهل الخبرة، وعليه لا يصح منه التقليد، فلا بدَّ أن يثبت بشهادة شاهدين عدلين من أهل الخبرة بأنه مجتهد، أو يحصل الشياع بين أهل الخبرة باجتهاده.

الثاني: العدالة: والعدالة المعتبرة في مرجع التقليد عبارة عن الاستقامة في جادة الشريعة المقدسة، وعدم الانحراف عنها يمينًا و شمالًا، بأنّ لا يرتكب معصية بترك واجب، أو فعل حرام، من دون عذر شرعي، ولا فرق في المعاصي من هذه الجهة، بين الصغيرة، والكبيرة.

الثالث: البلوغ فلا يجوز تقليد غير البالغ.

الرابع: العقل إذ يشترط في المرجع ان يكون عاقلا، فلا يصح تقليد المجنون.

الخامس: الذكورة فلا يجوز تقليد المرأة حتى للنساء.

السادس: طهارة المولد، فلا يجوز تقليد ابن الزنا.

على المكلف اختيار المرجع للتقليد ضمن الضوابط الشرعية المذكورة في كتب الفقهاء ولا يعتمد على ضوابط استحسانية أو لرغبات شخصية أو تعصب قَبَلي أو قومي أو دوافع لا توجب براءة الذمة أمام الله تعالى

السابع: أن لا يكون كثير النسيان على خلاف المتعارف فلا يتمكن من تذكر فتاواه وأدلة الأحكام حين الاستنباط.

الثامن: الحياة للتقليد الابتدائي عند الأكثر، فلا يجوز تقليد الميت ابتداءً، نعم يجوز البقاء على تقليده بشروط.

التاسع: الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ والاعتقاد بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام وأنهم خلفاء النبي الأكرم ﷺ.

الحيثية الخامسة: (الظروف المحيطة)

قد يدّعي البعض أن هناك ظروفًا خاصة تحيط بالمجتهد تجعل له كثرة مقلدين قد لا تتيسر لغيره، وهذه الدعوى على إطلاقها ليست صحيحة، فالظروف على قسمين: قسم منها لها تأثير نسبي في تكوين المرجع الأعلى، وقسم آخر لا تأثير لها أصلًا.

القسم الأول: (التي لها تأثير نسبي)

وهذا القسم له صور عدة منها:

١- شهادة المرجع الأعلى السابق للاحق بالمكانة العلمية والفضل وإجازته له بالاجتهاد، وحيث إن المرجع الأعلى السابق له أكثر المقلّدين فمن الطبيعي رجوعهم إليه بعد تشخيص مقلدهم لهم فضله وعلمه لاطمئنانهم بتشخيص مرجعهم.

٢- كثرة طلابه من أهل الخبرة المتدينين المعروف عنهم الاستقامة والصلاح الذين لا يخافون في الله لومة لائم فيشهدون لأستاذهم بالأعلمية لكي تبرأ ذمتهم أمام الله تعالى ولا يكون غرضهم غير رضا الله تعالى فيحصل شياع عند أهل الخبرة بأعلميته.

٣- كثرة مؤلفاته العلمية وبحوثه المطبوعة التي يسهل على أهل الخبرة الاطلاع عليها ومقارنتها مع مؤلفات غيره بحيث يمكنهم الشهادة بأعلمية مؤلفها وبراءة الذمة بتقليده.

القسم الثاني: (ما ليس له تأثير)

بعض هذه الظروف لا يكون سببًا أصلًا، بل تكون من شؤون المرجع الأكثر تقليدًا كوجود الدعم المادي، فإنه ليس له تأثير لو أريد به الدعوة للمرجع إلا مؤقتًا وعلى ضعاف النفوس، نعم بعد أن يكثر مقلدوه ويلتزمون بأداء الحقوق الشرعية له تتكون لديه مؤسسات مالية لدعم الفقراء والحوزة والمذهب فتُعرف خدماته، ولكن هذا متأخر عن فرض اجتهاده ومعرفة أعلميته، ومنها العلاقات الاجتماعية فإنها بعد أن يكون مرجعا وله كثرة مقلدين من الطبيعي أن يكثر زائروه ومحبوه ومن يرغبون التقرب منه لمقامه، فيعرفه الناس اكثر

بسبب كثرة لقاءاته.

وأما غير ذلك من العوامل كتدخل المحيط الخارجيّ، أو جهاتٍ متنفذةٍ سياسيةٍ أو غيرها فهذا مما لا يمكن أن يحقق مرجعية لا عليا ولا غيرها، خصوصا إذا كان السعي لها بهذه الطرق الملتوية فتفقد التسديد الرباني الذي ذكرناه أولًا.

كما أننا قد مر علينا تاريخ مراجعنا العظام ولم نشهد أيَّ عاملٍ محيطٍ أثّر في اختيار المرجع غير ما أشرنا إليه من أسباب، بل إذا كان السعي بهذه الأمور الدنيويَّة يكون مصيرها الأفول سريعًا وانكشاف الحقيقة لعموم الناس التي تتخلى عنه بعد عدم تلمسهم صدق نيته مع الله، وكذلك الله تعالى لا يهدي كيد الخائنين الساعين للشهرة من طرق ملتوية غير شرعية.

وهذا هو الذي حفظ لنا المرجعية والمذهب طوال هذه السنين رغم الحرب الشعواء على المذهب ومراجعه، فصِدْقُ نيَّتهم لله تعالى وعملهم من أجله ومن أجل إبراء ذمتهم امام الله تعالى يأخذ الله بأيديهم، حفظ الله مراجعنا العظام ورحم الله الماضين ووفقنا لخدمة الدين وشريعة سيد المرسلين.

ختامًا:

بعد أنْ اتضح ما ذكرناه فقد يرد للذهن سؤالٌ هل هناك عنوانٌ أو منصبٌ أو موقع يسمّى المرجع الأعلى؟

طبعا لا يوجد عنوان يلزم إشغاله ولا منصب ولا موقع، وإنما هو مصطلح يطلق على المرجع الذي يكون له نسبة التقليد في جميع العالم الشيعي أكثر من غيره، ولو كان هناك عنوان لا بد من إشغاله لا ينفع التفكير بمَن يكون بديلا عن المرجع عند كبر سنّه؛ لأن الأعمار بيد الله تعالى فلا بد من التفكير به من أول يوم يكون فيه مرجعاً أعلى مَن يكون بديله لأن الموت لا يعرف صغيرًا أو كبيرًا، وحيث لا وجود لهذا العنوان فيكون التفكير ببديلٍ عن المرجع الأعلى عقيمًا؛ لأنه لا مانع أن يكونَ بعد وفاة المرجع الأعلى مراجع متعددون وكلَّ مقلدٍ يرجع لمرجعه ولا يلزم وجود مرجعٍ واحدٍ يكون له مقلدون أكثر من غيره، فلا حيرة ولا خلاف ولا تبقى الأمة والمذهب بلا راعٍ؛ لأنَّ كل مقلدٍ يرجع لمقلده فإذا صار بعد ذلك مرجع له مقلدون أكثر بوضوح من غيره يكون لقب المرجع الأعلى منطبقًا عليه، وعليه فما يحاول البعض من ضرورة أن نعرف من سيكون المرجع الاعلى بعد المرجع الفعلي مما لا جدوى منها، بل هي خلاف المنطق والأدب مع المرجع الاعلى بل ينبغي الدعاء له بطول العمر في خدمة الدين والمذهب.

ثم هذا البحث بالنسبة للموجودين فعلًا الذين يحتمل موتهم قبل المرجع كما هو المتوقع لكل أحد لا قيمة له ولا أثر، وبالنسبة لمن يكون موجوداً بعد فقد المرجع – لا سامح الله – هو اعرف حينه بالحال؛ لعدم قيمة تشخيصنا الفعلي مع فرض إمكان التغيير في أيَّةِ لحظة حفظ الله مراجعنا من كلِّ سوء والحمد لله رب العالمين.

١- ظ: المرجعية وقضايا أخرى: ٥١-٥٢.
٢ – ظ: السيستاني، علي الحسيني، منهاج الصالحين: ١/ ٥.

بلسانٍ علويٍّ مبين

أسس التحصين الفكري في نهج البلاغة

أ.د. حسين الزيادي
جامعة ذي قار / كلية الآداب

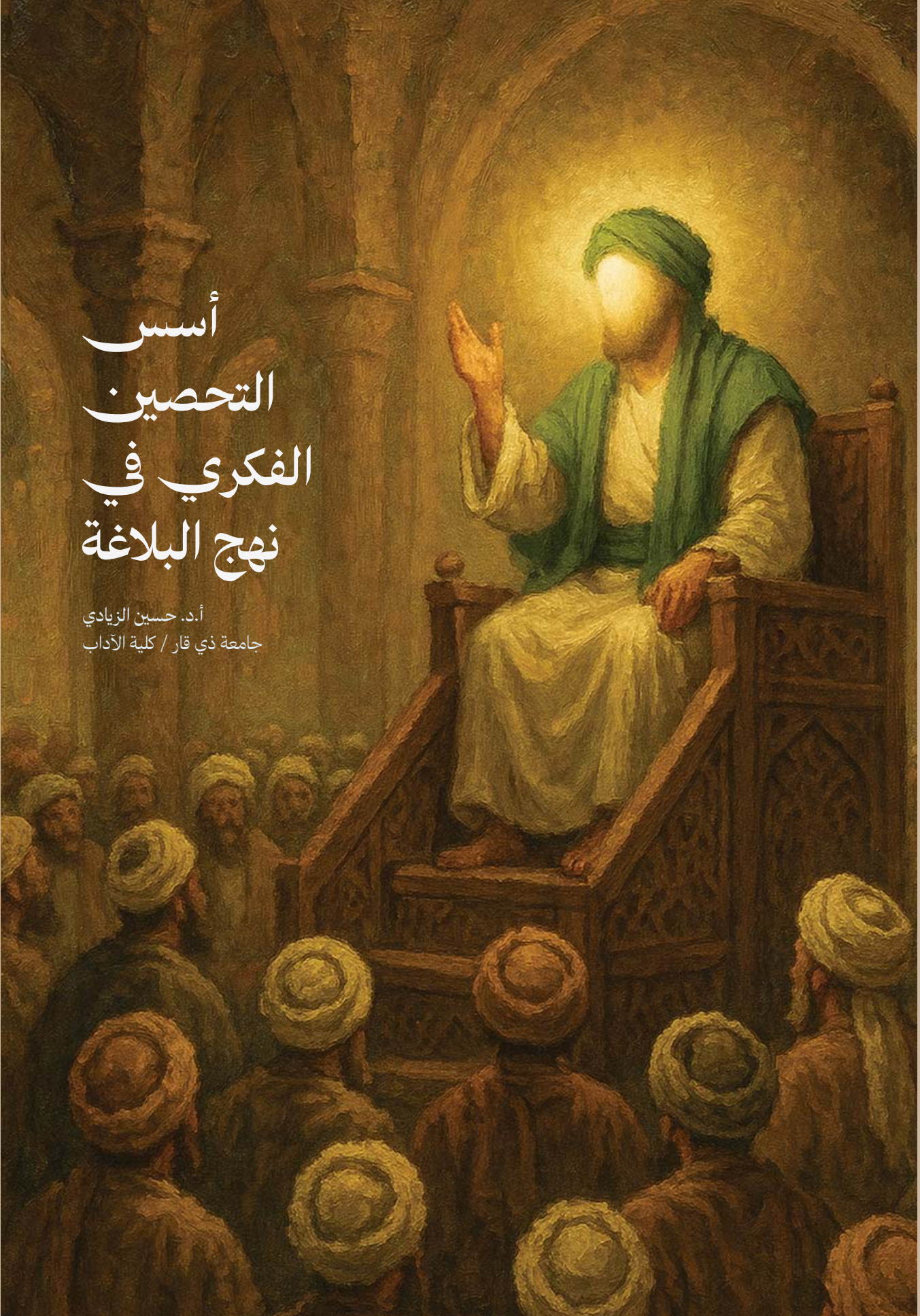

أسس التحصين الفكري في نهج البلاغة

أ.د. حسين الزيادي
جامعة ذي قار / كلية الآداب

اكتسب التحصين الفكري أهمية استثنائية في عصرٍ تماوجت فيه الاتجاهات الفكرية في ظل افرازات العولمة، وشهد صراعاً ايدلوجياً عميقاً، نشأت بسببه حركات متطرفة وتيارات منحرفة، مهدت لظهور موجات من الإرهاب الفكري والديني والسلوكي، فضلاً عن المشاكل والانتهاكات الجنائية، والاقتصادية، والمشكلات الاجتماعية كالانتحار، والإلحاد، والعنف، والإدمان، وغيرها كثير؛ وهي نتاج أفكار ضالة وهدامة وجدت لها موطأ قدم بسبب الاختلال والقصور في منظومة التحصين الفكري، الأمر الذي يتطلب أن تواجه تلك الاعتقادات بفكر نير قويم أساسه القرآن الكريم وفلسفة أهل البيت عليهم السلام.

يعدّ نهج البلاغة خير معبر عن فلسفة أهل البيت عليهم السلام، فضلا عن كونه ترجمان القران، لذا اقتضت الضرورة العلمية أن تصنّف خطب هذا السفر الخالد وكلماته تصنيفاً موضوعياً بحسب القضايا التي عالجها أو تعرض لها، وعلى رأسها مسألة التحصين الفكري.

ما التحصين الفكري؟

لم يحظ مفهوم التحصين الفكري بمعناه الحالي بتعريف متفق عليه لأنه من المفاهيم الحديثة نسبياً، وهو يعبر عن حصانة الفرد والأمة اتجاه الأفكار والتيارات المنحرفة والأزمات الفكرية والعقائدية[1]، ويهدف التحصين الفكريّ إلى تسليح الفرد بمقومات الفكر والثّقافة ليحافظ المسلمون على أصالتهم وثقافتهم النّوعية ومنظومتهم الفكرية[2]، المنبثقة من القرآن الكريم وسنة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

يُعدُّ نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من المصادر التي تكتنز أساليب فكرية عميقة تسهم في تحصين الأفراد والمجتمعات ليكونوا صداً أمام الأفكار الدخيلة والثقافات المنحرفة، فضلاً عن كونه دائرة معارف إسلامية هائلة تتجدد مع الزمن، ومنهجاً شاملا لتكامل البشرية، وسيبقى على مر العصور نوراً تشرق به دروب العارفين.

ونهج البلاغة في بنائه الأخلاقي للإنسان جاء بكل ما هو راق ومتحضر ومساير للتطور البشري، ورسم للإنسان حياة تغلفها كل المعاني الإنسانية.

يعكس الإمام عليه السلام رؤية شاملة للتحصين الفكري، فهناك جمع بين العلم والفكر من جهة، وبين التقوى والانحرافات الفكرية، ويضع منهجاً واضحاً وإرثاً فكرياً يمكن

للمربين الاستفادة منه لتحقيق السلام الداخلي والمجتمعي، وتحصين أبنائهم وعوائلهم من الفتن والشبهات، وفي مجال التحصين الفكري ركز الإمام عليه السلام على محاور عدة نذكر منها:

التحذير من الجهل وتعزيز المعرفة

يُعدُّ الجهل في نظر الإمام علي عليه السلام العدو الأول للعقل والفكر، إذ قال عليه السلام: ((الناس أعداء ما جهلوا))[٣]، يوضح الإمام أن عدم المعرفة يُؤدي بكل أحواله إلى الانحراف عن الحق، فالإنسان يتعامل مع ما يجهله تعاملاً عدائياً، وهذه حقيقة تنسجم مع قوله تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾[سورة يونس: ٣٩]، فالجهل كما عبّر عنه عليه السلام (موت الاحياء)، ويرى الإمام عليه السلام أن العلم هو الوسيلة الرئيسة لحماية العقل من الانحراف والشذوذ والفساد، فالتحصين الفكري يجب أنْ يبنى وفق أسس علمية رصينة، فقال عليه السلام: (العلم مصباح العقل)[٤].

وبما أنَّ الانحرافات الفكرية ظلام فإن العلم حصانة فكرية ينير طريق سالكيه، وقريب من ذلك قوله عليه السلام في أحدى خطبه: ((العقل دليل المؤمن))[٥]، بوصف العقل الوسيلة الرئيسة لفهم الشريعة ومواجهة التحديات الفكرية وهو بمعنى الحصن والملجأ، ولا يخفى على أحد أن العلم مفتاح كل خير، لما له من أهمية كبيرة في الوصول إلى الكمال الانساني، فالإنسان العالم يرى الأمور غير الذي يراها الإنسان الجاهل، وبالتالي فالعالم أكثر حصانة من الجاهل.

لكن مع تأكيد الإمام عليه السلام على طلب العلم فانه يشير إلى ضرورة أخذه من أهله ومنبعه وأصله وموطنه الذي يتمثل بمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله، ولعل الإمام أشار إلى ذلك في مورد آخر من النهج فقال ضمن كلام له عليه السلام: ((...مِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِه))[٦].

إنّ وجود العلم من غير منابعه يعد وبالاً على صاحبه، كما أشار لذلك عليه السلام قائلا: ((العَقلُ لَم يَجنِ عَلى صاحِبِهِ قَطُّ، وَالعِلمُ مِن غَيرِ عَقلٍ يَجني عَلى صاحِبِهِ))[٧]، وقال عليه السلام أيضاً: ((مَن زادَ عِلمُهُ عَلى عَقلِهِ كانَ وَبالًا عَلَيهِ))[٨].

وتأسيساً على ما تقدم فإنّ التحصين الفكري يستلزم الأخذ بالعلوم من منابعها الأصلية لأنها محاطة بالحكمة الإلهية فلا زيغ فيها واعوجاج ولا زيادة ولا نقصان.

إنّ الانتماء لأهل بيت النبوة عليهم السلام هو الانتماء السليم والواعي، الذي أمر به الله تعالى بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[التوبة: ١١٩].

تقوى الله عز وجل:

التقوى من الوقاية أو الحذر والاحتراز، وهي ضمانة للإنسان من الزلل والفتن لأنها

يُعدُّ نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من المصادر التي تكتنز اساليب فكرية عميقة تسهم في تحصين الافراد والمجتمعات ليكونوا صداً أمام الأفكار الدخيلة والثقافات المنحرفة.

تولِّد قوة روحية لدى الإنسان، إذ يقول تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: الآية: ٢٩]، فتقوى الله تؤدي بالضرورة إلى العمل الصالح، وفي الوقت نفسه تقود إلى الفكر السليم والبعد عن الانحراف الفكري، وتمنع الإنسان من الوقوع في كل ما من شأنه أن يؤثم قلبه، وكلما كانت التقوى أكمل كان البعد عن الانحراف أوسع، وقد أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا المعنى، إذ اعطى للتقوى مفهوماً واسعاً فقال عليه السلام: ((اعْلَمُوا عِبَادَ الله أنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، والفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لا يَمْنَعُ أهْلَهُ، ولا يُحْرِزُ مَن أجل إلَيْهِ، ألاَ وبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حَمَةُ الخَطَايَا، وباليَقِينِ تُدرَكُ الغايَةُ القُصْوَى))[٩].

إن التمسك باهل البيت (عليهم السلام) منجاة من الفتن والانحراف لأنهم بوصلة المؤمن للاستدلال على الطريق القويم.

نلحظ أنَّ الإمام عليه السلام في نص آخر من نصوص نهج البلاغة يعطف نظره إلى الناحية الروحية والنفسية والمعنوية للتقوى وآثارها في الروح، بحيث تبعث فيه الإحساس بالطريق السليم، فيقول عليه السلام: ((فإنَّ التقوى في اليوم الحرز والجُنَّة، وفي غد الطريق إلى الجنة))[١٠]، وبعبارة أخرى أنّ التقوى هي الحصن المنيع الذي يصون الإنسان أمام الانحرافات الفكرية، لهذا السبب وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام التقوى بأنَّها الحصن الذي يقي الإنسان أخطار الزلل والانحراف وذلك من خلال قوله عليه السلام: ((اِعْلَمُوا عِبَادَ الله أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْن عَزِيز، والفجور دار حصن ذليل لا يمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه، ألا وبالتقوى تُقطع حمَّة الخطايا، وباليقين تدرك الغاية القصوى))[١١]، وقال (عليه السلام) في موضع آخر((ولا مَعْقِلَ أحْصَنُ مِنَ الوَرَعِ))[١٢].

التحذير من الفتن والانحرافات الفكرية:

يسعى مثيرو الفتن أن يلبسوا الباطل لباس الحق ويتظاهروا بالتدين والعدالة، فالعامل الأهم لديهم هو امتزاج الحق بالباطل وتقويض مبادئ الدين والتشكيك بالمسلمات، والفتن باب من أبواب الانحرافات التي لا تجد لها مكاناً مع قوة التحصين الفكري، وفي تاريخ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام دعوة إلى التمسك بسفن النجاة وهم أهل بيت

النبوة عليهم السلام وإلى ذلك اشار عليه السلام في نهج البلاغة إذ قال: ((أيّها الناس، شقّوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرّجوا عن طريق المنافرة، وضعوا عن تيجان المفاخرة))[١٣].

ويقول عليه السلام في مورد آخر: ((إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى))[١٤].

إن التمسك بأهل البيت عليهم السلام منجاة من الفتن والانحراف لأنهم بوصلة المؤمن للاستدلال على الطريق القويم، كما في قول أمير المؤمنين (عليه السلام) ((نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمى سارقا))[١٥].

ويقول عليه السلام في موضع اخر: ((كُنْ فِي الفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ، لا ظَهْرٌ فَيرْكَبَ، ولا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ))[١٦].

قدم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة توجيهات عظيمة وتحذيرات واضحة من الانحرافات الفكرية والعقدية، مشيراً إلى خطورتها على الفرد والمجتمع، إذ كانت دعوته لتجنب الحركات المنحرفة نابعة من إيمانه العميق بأن الفتن الفكرية والأيديولوجيات الباطلة تزرع الفُرقة والفساد وتؤدي إلى الابتعاد عن الحق.

---

١. عبد الرحمن اللويحق، الامن الفكري في ضوء السنة النبوية :١٠٥٥
٢. عبدالرحمن بت عبدالعزيز السديس، الأمن الفكري: ٢٠٠٥م.
٣. صلاح الفرطوسي، نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب،: ٣/ ١٥٦.
٤. الريشهري، ميزان الحكمة: ٣/ ٢٠٦٢
٥. المصدر نفسه: ٣/ ٢٠٣٧
٦. نهج البلاغة ١/ ٢٠٢
٧. الريشهري، العقل والجهل في الكتاب والسنة: ٢٧.
٨. الريشهري، ميزان الحكمة: ٣/ ٢١٠٤
٩. نهج البلاغة: ٢/ ٩٤
١٠. نهج البلاغة: ٢/ ١٣٤
١١. نهج البلاغة: ٢/ ٥١
١٢. صلاح الفرطوسي، نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب: ٣/ ٢١٨.
١٣. نهج البلاغة: ١/ ٢٠٠.
١٤. نهج البلاغة: ١/ ٢٦٩.
١٥. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٩/ ١٦٤.
١٦. نهج البلاغة: ٣/ ١٠٣.

مناهج الحياة (طاعة الله)

من كلام لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة

قَالَ عليه السلام: ((احْذَرْ أَنْ يَرَاكَ اللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ)).

وقَالَ عليه السلام: ((عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ)).

وَقَالَ عليه السلام: ((لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ)).

وَقَالَ عليه السلام: ((إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجَزَةِ)).

وَقَالَ عليه السلام: ((إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَ دَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ)).

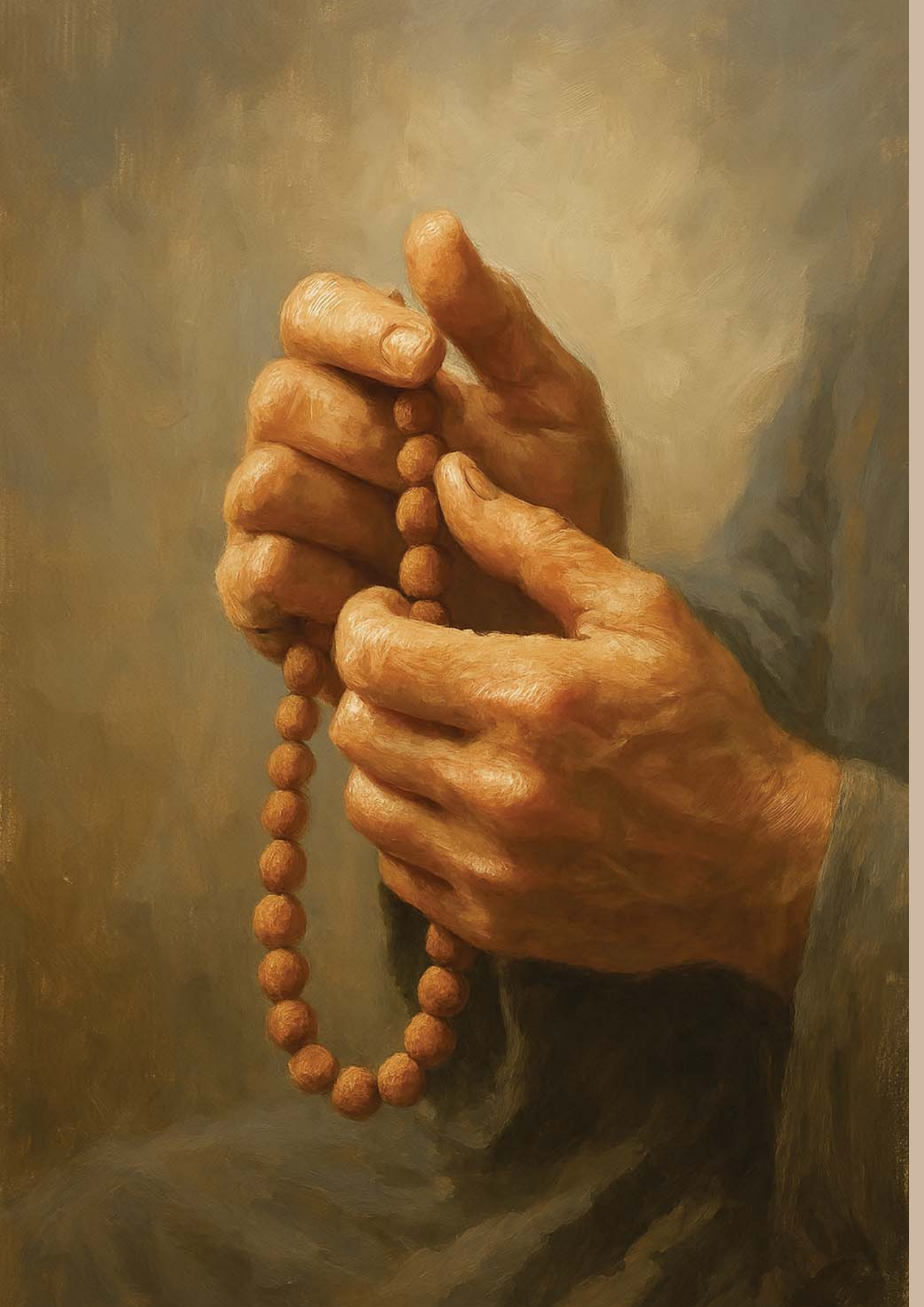

الصراط المستقيم

- البُعْدِ الثقافي والعمل التثقيفي في سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

السيد أبو الحسن حميد المقدس الغريفي
أستاذ البحث الخارج في الحوزة العلمية في النجف الأشرف

- تطبيق منهج العدالة في فكر أمير المؤمنين عليه السلام

د. حسن بشير
جامعة الامام الصادق (عليه السلام) / طهران

البُعْدِ الثقافي والعمل التثقيفي في سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

السيد أبو الحسن حميد المقدس الغريفي
أستاذ البحث الخارج في الحوزة العلمية في النجف الأشرف

لا يعني البُعْد الثقافي أنْ نحصر حركة أمير المؤمنين عليه السلام في زاويةٍ معرفيةٍ ضيِّقةٍ وبالمعنى المتداول بين الناس؛ لأنَّ الثقافة مفهوم واسع تستوعب في أبعادها وحركتها تنظيم ومراعاة حياة الإنسان كفرد ومجتمع وشعب في مختلف المجالات العامّة بما يضمن الحقوق ويُقيم العدل، ويُحصِّن الأمة فكرياً وأمنياً وعسكرياً واقتصادياً ليحفظ نظامها وسيادتها وعزَّتها، وهذا يتطلب قيادة رسالية قوية وأمينة ومخلصة، ولم يذكر التأريخ الإسلامي شخصية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله تمتلك مواصفاتٍ متكاملة، للمعرفة والقيادة والعمل الميداني والحِنْكَة السياسية والحربية وتدبير شؤون الأمة ورعاية مصالحها إلاَّ أمير المؤمنين عليه السلام رغم وجود أخطر التكتلات الحزبية الداخلية في حياته كالناكثين والقاسطين والمارقين، فضلاً عن الخطر الخارجي، حيث شَكّلوا عائقاً شرساً لمنع تحقيق طموحاته الرسالية في خدمة الإنسانية جمعاء، حتى صار أعجوبة الدهر في سياسته ونضاله وعدله ومقاومته للفساد والانحراف؛ ولذا سنحاول قدر المستطاع تسليط الضوء على البُعد الثقافي والعمل التثقيفي في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في مختلف مجالات الحياة بلحاظ كونها محط نظر عقلاء الناس ومثقفيهم وتأملهم فيها لسعة آفاقها العلمية والمعرفية والميدانية.

الثقافة لغةً واصطلاحًا :

حينما نتكلم عن الثقافة لا نريد منها وصف أمير المؤمنين عليه السلام بالرجل المثقف؛ لأنَّه أرقى وأسمى من أن يوصف بذلك؛ لكونه الرجل العالم العارف في جميع أمور الحياة وما قبلها وما بعدها بنحو تفصيلي بلحاظ علمه اللدُنِّي، وهذه الصفة العلمية والمعرفية من مختصات الرسول صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام الذين لا يُقاس بهم أحد من عامَّة الناس، وعليه لا يصح وصفهم بالمثقفين؛ لأنَّ الثقافة في بُعْدها العام أنْ تكون لك معرفة في الجملة عن غالب الأشياء بما لا تصل إلى العمق والتفصيل، بخلاف التخصص الذي يعرف فيها المتخصص كُلّ شيء عن شيء واحد، وأمَّا الحال بالنسبة إلى

إنَّ التثقيف العَلَوي أخذ مساره الإنسانيَّ بين الشعوب؛ ليكون أنموذجا واعياً يتطلع نحوه العقلاء في مسيرتهم الحياتية الفكرية والعملية لكونه يُمَثِّل الإسلام الأصيل.

أمير المؤمنين عليه السلام فهو يعرف كُلَّ شيء عن كُلِّ شيء بالتفصيل.

وبالتالي فهو يفيض من علومه ومعارفه وأخلاقياته وسياساته على الناس بما يجعلهم مُحَصَّنين بثقافة ذات بُعْد انساني يستوعب البشرية جمعاء، إلا أنَّ انحراف الكثير من الناس عن هذا الفيض ولجوئهم إلى مشارب مختلفة لدواعي قبلية وعصبية وأهواء وأمزجة ومصالح ضيِّقة مع قصور مداركهم بما يُكسبهم أفكاراً وقيماً وممارسات مختلفة ومتنوعة ومتضادّة، يكاد لا يتفقون إلا في قضايا ومسائل قليلة جداً لكثرة اختلافهم في المفاهيم وتشخيص المصاديق وتحديد آليات العمل والممارسات على أرض الواقع لتنشأ عن ذلك ثقافات مزيَّفَة وتحدث الخلافات وتشيع النزاعات والصراعات لتعارض مراكز معلوماتهم ومعارفهم فيحصل التناقض في الأفكار والمبادئ والقيم والأخلاق، كما تلحظ التضاد في المصالح وإتِّباع السياسات.

وهذا في واقع الحال ليس من الثقافة في شيء، وإنما هو خروج عن دائرة العلم والمعرفة والممارسة الحَقَّة والعادلة، فتكون عبارة عن أوهام وأباطيل وسفسطات ما أنزل الله بها من سلطان، وبالتالي فإنَّ التثقيف الصادر عن الأئمة الهداة هو بالضد من التجهيل الذي يصدر عن أئمة الضلال.

ومن هنا لابد من تعريف الثقافة لغة واصطلاحاً باعتبار ما عليه غير المعصوم من الأفراد والمجتمعات مما تكتسبه من علوم ومعارف وفنون ذات بُعْدٍ محدود ومن مصادر مختلفة وثقافات متناقضة فكراً وممارسة.

فالثقافة لغة لها معانٍ متعددة إلا أنَّ المعنى العام والمناسب للمقام كما في الصحاح أنْ يُقال: ((ثقف الرجل ثقفا وثقافة، أي صار حاذقا فطناً))[1]، وقال الفراهيدي: ((والثقف مصدر الثقافة، وفعله ثقف إذا لزم، وثقفت الشيء وهو سرعة تعلمه. وقلب ثقف أي سريع التعلم والتفهم))[2]، وقال ابن منظور في لسانه: ((وثقف أيضا ثقفا مثل تعب تعبا أي صار حاذقا فطنا، فهو ثقف، وثقف مثل حذر وحذر وندس وندس، ففي حديث الهجرة: وهو غلام لقن ثقف أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه))[3].

وأمَّا الثقافة بحسب الاصطلاح فلها تعريفات متعددة لتعدد الاتجاهات الفكرية والحدود التصورية، منها ما قيل بأنَّها: ((مجموعة الأعراف والطرق والنظم والتقاليد التي تميز جماعة أو أمة أو سلالة عرقية عن غيرها، وعلى مستوى الفرد يطلق اللفظ على درجة التقدم العقلي التي حازها، بصرف النظر بالطبع عن مستويات الدراسة التي أنجزها))[4].

ولكنَّ الثقافة في حدّ ذاتها وكمفهوم معرفي وسلوكي لا ينبغي أنْ يخرج عن دائرة الحذاقة والفطنة والذكاء الذي يؤدّي بالفرد والمجتمع نحو الصلاح والإصلاح، وبما يصح وصفه

إنَّ البُعْد الثقافي الذي أشاعه أمير المؤمنين عليه السلام بين الناس جميعاً لم يكن متأثراً بالقبليات والموروثات، ولم يصدر عن التصورات المتوهمة والرغبات الضيّقة والتجارب الناقصة، بل هو مُنْجزٌ قائمٌ بذاته يحكي الواقع الذي ينبغي على الإنسانية أن تؤمن به وتسلكه في خطابها وسلوكها ومعاملاتها.

بالفكر الإنساني العابر للحدود والمتجاوز للانقسام والخلاف؛ إذ ليست الأفكار والأعراف الفاسدة والنظم الفاشلة والتقاليد البالية والتشريعات الظالمة التي تتميز بها جماعة أو أمّة أو سلالة عرقية عن غيرها يصح وصفها بالثقافة، بل هي جهل بسيط أو مركب أو ممارسات ضالّة أو عدوانية وظالمة، وبذلك فإنَّ القول بتعدد الثقافات هو خطأ شائع؛ لأنَّ الجهل بقسميه والضلال والظلم والعدوان لا يُنتج علماً ومعرفة وسلوكاً قويماً بل هو فساد وانحراف وفق المعايير الإنسانية وإنْ اتفق الجاهلون والظالمون على ذلك، حيث لا يمنحهم الاتفاق صفة الثقافة بل هي جهالة، كما أنَّ التثقيف هي بالضد من التجهيل.

وعموماً فإنَّ الثقافة إنَّما هي منطق رسالي ورؤية عالمية مصدرها الحق الإلهي تتجسد فيه المعايير الدينية والعلمية والممارسات الاجتماعية والأخلاقية الأصيلة والمتوائمة مع الفطرة الإنسانية، وبما يُعطي معنى رسالياً للحياة، وبُعْداً تكاملياً للإنسان، وتفاعلاً حقيقياً بينهما في حركة مترابطة تُستثمر في بناء حضارة عالمية عابرة للحدود تشترك فيها الإنسانية لوحدة أهدافها إذا ما التزم الجميع بالبُعْد الثقافي الإنساني المبني على المعرفة، والعلم، والحق، والعدل، والمساواة، والحريّة المنضبطة، واحترام الحقوق، وأداء الواجبات، والتكافل، والتناصح، ونصرة المظلوم وردع الظالم و....

الثقافة العلوية:

بطبيعة الحال فإنَّ البُعْد الثقافي الذي أشاعه أمير المؤمنين عليه السلام بين الناس جميعاً لم يكن متأثراً بالقبليات والموروثات، ولم يصدر عن التصورات المتوهمة والرغبات الضيّقة والتجارب الناقصة، بل هو مُنْجز قائم بذاته يحكي الواقع الذي ينبغي على الإنسانية أن تؤمن به وتسلكه في خطابها وسلوكها ومعاملاتها، وكان سلام الله عليه مُجَسِّداً لكل المعايير والموازين الإنسانية في نطقه وصمته، وحركته وسكونه، ونومه ويقظته، وحبّه وبغضه، وعطائه ومنعه ، وسلمه وحربه، حتى وُصِف بالقرآن الناطق، وبأنَّه قرآن يمشي على الأرض، وأنَّه مع الحق، والحق معه، فصار عليه السلام ميزاناً يُعْرَف من خلاله الحق والباطل، والعلم والجهل، والعدل والظلم، والثقافة وأضدادها كالأُميّة والحُمْق والغباوة، وما إلى ذلك.

وعموماً فإنَّ التثقيف العَلَوي أخذ مساره

الإنساني بين الشعوب ليكون أنموذجا واعياً يتطلع نحوه العقلاء في مسيرتهم الحياتية الفكرية والعملية لكونه يُمَثِّل الإسلام الأصيل، والواقع الإنساني الشامل لجميع مناحي الحياة في أبعاده ا لمختلفة .

إذن أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الإنسان الرسالي والميزان العادل الذي حمل الدّين والمعاني الإنسانية عن علم ودراية بنحو تفصيلي وأدّى ذلك بأمانة وإخلاص على أكمل وجه وأحسن أداء؛ ولذا تجد خطاباته وسلوكياته ومعاملاته تعكس الصورة الناصعة للنظام الإسلامي الذي لا تنحصر ثقافته على حدود جغرافية معيّنة ومناطق ضيّقة ومجتمعات خاصّة بل تعامله مبني على نشر الثقافة الموضوعية الهادفة وتثبيت أُسسها في بُعدها الإنساني الصالحة للبشرية جمعاء.

إلا أنَّ انحراف الغالب من البشرية عن هذه الخطوط الرسالية لدواعي خاصة وضيّقة وجهل وغباء وما إلى ذلك رغم وضوحها وصلاحها كان تحت ذرائع واهية ومسَوِّغات ذات بُعد سفسطائي كدعوى تغير الثقافات بتغير الزمان والمكان مما جعلهم يمنحوها طابع الانقسام الإيجابي، علماً أنَّ ما تحمله المجتمعات والشعوب من أعراف وعادات ونُظُم وأفكار يختلف بعضها عن بعض في داخل المجتمع الواحد فضلاً عن الشعب، حيث لا ضوابط تحدّهم ولا موازين يستندون إليها، مما جعلها خليطاً من الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والعدل والظلم بحسب متابعتهم للتصورات الوهمية والأمزجة والمصالح الضيِّقة وتقليد الآخر عُمياناً، إنْ لم نَقُل أنَّها بالضد التام من التثقيف العَلوي.

ولكن لّما كان هؤلاء يواجهون المنهج التثقيفي الرسالي فقد نشأت لديهم ضرورة وضع تصنيفاتٍ مختلفةٍ للثقافة كنوعٍ من التحايل الفكري كالقول بالثقافة الغربية، والثقافة الشرقية، والثقافة الدينية واللادينية ، والثقافة البوذية والهندوسية والسيخية ، وما إلى ذلك، فيُعطي لكل مجتمع وشعب وأمّة خصوصية تكون مشروعة له ويتميز بها عن الآخر في كثير من المبادئ والقيم والأخلاق والأعراف والعادات والنُظم بعد نفيهم لوجود معرفة مطلقة إيماناً منهم بنسبية المعرفة والحقيقة إلا أنَّ هذا النفي مردود بالبرهان والوجدان لثبوت الكثير من الحقائق والمعارف المطلقة المتعلقة بالخالق جلّ وعلا والوجود بل وجود البديهيات والحسابات الرياضية والهندسية التي لا تقبل الشك والخطأ، إضافة إلى ذلك وقوعهم في مغالطات فاضحة وهي أنَّهم في الوقت الذي ينفون وجود حقيقة أو معرفة مطلقة نجدهم يؤمنون بنسبية المعرفة بنحو مطلق أي أنَّ نظرية النسبية لديهم تُمَثِّل حقيقة مطلقة، وهذا خُلف و ا ضح .

---

١. الجوهري، الصحاح: ٤/ ١٣٣٤، الفيروز آبادي، القاموس المحيط: ٣/ ١٢١
٢. الفراهيدي، كتاب العين : ٥/ ١٣٩.
٣. ابن منظور، لسان العرب: ٩/ ١٩.
٤. مجموعة مؤلفين، موسوعة المفاهيم الاسلامية العامة: ١٧٣.

د. حسن بشير
جامعة الإمام الصادق (عليه السلام) / طهران

تطبيق منهج العدالة في فكر أمير المؤمنين عليه السلام

تعتبر عدالة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من أبرز الصفات التي تميَّزَ بها، وقد تجلَّت هذه العدالة في مختلف جوانب حياته، سواءً في زمن حكومته أو قبل ذلك، فقد اشتهر عليه السلام بحرصه الشديد على تطبيق العدل والمساواة بين الناس، وعدم التمييز بينهم بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو الدين.

الهدف من هذا المقال هو تقديم صورةٍ واضحةٍ عن عدالة الإمام علي عليه السلام التي تُعد من أبرز صفات الاسلام، وما أحوجنا اليوم إلى العدالة في عالمنا الحاضر.

سنقدم في هذا المقال بيانات ومصاديق مهمة من عدالة الإمام علي عليه السلام ليكون مرجعا يحتذى به القادة والمسؤولون، وبطريقة منهجية تحليلية إذ سيتم تحليل النصوص الواردة في المصادر المختلفة واستخلاص النتائج منها.

مفهوم العدالة عند الإمام علي عليه السلام :

إن مفهوم العدالة عند الإمام علي عليه السلام هو مفهوم شامل وعميق يتجاوز المعنى التقليدي للعدالة كالإنصاف والمساواة وتطبيق القوانين، بل هو قيمة إنسانية وأخلاقية عالية، وأساس لبناء مجتمعٍ إسلامي سليم ومزدهر، لكننا بالرغم من ذلك سنبحث المفاهيم المختلفة التي تعكس بعض المعاني التي يحملها مفهوم العدالة.

يَعتبر الإمام علي عليه السلام الإنصاف جوهر العدالة، ويعني بذلك إعطاء كلّ شخصٍ حقه كاملاً غير منقوص، وعدم التمييز بين الناس في المعاملة

أسس العدالة عند الإمام علي عليه السلام :

يَعتبر الإمام علي عليه السلام العدل الإلهي هو أساس العدالة على وجه الأرض، حيث يؤكّد على أنَّ الله تعالى عادلٌ في خلقه وتدبيره، ويهدي الناس على الاقتداء بالعدل وأن لا يظلم بعضهم البعض.

المساواة: يؤكّد أمير المؤمنين عليه السلام على مبدأ المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات، بغض النظر عن الدين أو العرق أو اللون أو الجنس أو المركز الاجتماعي.

الإنصاف: يَعتبر الإمام علي عليه السلام الإنصاف هو جوهر العدالة، ويعني بذلك إعطاء كل شخص حقه كاملاً غير منقوص، وعدم التمييز بين الناس في المعاملة، كما في وصيته للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام: ((... وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً))[1].

تطبيق القوانين: يرى أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ تطبيق القوانين بعدالة ونزاهة هو جزءٌ أساس من العدالة، ويحث مؤكداً على عدم التهاون في تطبيق القانون على أي شخص، مهما كان مركزه أو مكانته الاجتماعية في المجتمع.

من أهم ما ورد عن الإمام علي عليه السلام في تطبيق القانون لتحقيق العدالة ما جاء في كتابه إلى مالك الأشتر لما ولاّه مصر: ((وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَ صَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ وَ لَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَ أَهْلِهِ وَ لْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَ مَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَ أَهْلَكَ الْعِبَادَ وَ لَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ وَ لَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَئُونَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ وَ تَزْيِينِ وِلَايَتِكَ مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ وَ تَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ))[2].

يعتبر الإمام علي عليه السلام العدالة أساس الملك وقوامه، فلا يمكن لدولة أنّ تستقيم أو تنجح إلاّ إذا قامت على العدل

أهمية العدالة عند الإمام علي عليه السلام:

تعتبر العدالة وتطبيقها في الحياة الفردية والاجتماعية من أهم القيم التي أولاها الإمام علي عليه السلام اهتماماً بالغاً، وقد تجلى ذلك في أقواله وأفعاله وسيرته العطرة، ويمكن تلخيص أهمية العدالة عنده عليه السلام:

أساس الملك وقوامه: يعتبر الإمام علي عليه السلام العدالة أساس الملك وقوامه، فلا يمكن لدولة أنْ تستقيم أو تنجح إلاّ إذا قامت على العدل، وقد أكد عليه السلام على هذه الحقيقة في العديد من أحاديثه كما في قوله عليه السلام: ((العدل أساس به قوام العالم))[٣].

صلاح المجتمع وإصلاحه: يرى الإمام علي عليه السلام أنَّ العدالة هي السبيل الوحيد لإصلاح المجتمع وتحقيق الأمن والسلام فيه، إذ قال عليه السلام: ((بالعدل تصلح الرعية))[٤].

رد المظالم وإنصاف المظلومين: يَعتبر الإمام علي عليه السلام أنَّ من أهمْ واجبات الحاكم، بغض النظر عن المجتمعات المختلفة المسلمة وغيرها، هي رد المظالم إلى أهلها وإنصاف المظلومين، كما في قوله عليه السلام: ((إنْ من العدل أن تنصف في الحكم وتجتنب الظلم))[٥].

العدالة في القضاء: كان الإمام علي عليه السلام قاضياً عادلاً، وقد اشتهر بقضائه العادل إذ لم يفرق فيه عليه السلام بين القوي والضعيف في حياته، وجاء ذلك واضحا في وصيته عليه السلام لمالك الأشتر في شروط اختيار القاضي ((اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم. ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء. وأولئك قليل))[٦].

العدالة في توزيع الثروة: يرى الإمام علي عليه السلام أنَّ العدالة يجب أنْ تشمل جميع جوانب الحياة في المجتمع، بما في ذلك العدالة في توزيع الثروة، إذ قال عليه السلام: ((ما رأيت نعمة موفورة إلاَّ وإلى جانبها حقٌ مُضيَّع))[٧]، وقال عليه السلام أيضاً: ((إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني))[٨].

التحذير من الظلم: حذر الإمام علي (عليه السلام) طيلة فترة حياته الشريفة من الظلم وعواقبه الوخيمة التي ستصيب الظالم، إذ قال (عليه السلام): ((إِيَّاكَ والظُّلْمَ فَإِنَّهُ يَزُولُ عَمَّنْ تَظْلِمُهُ ويَبْقَى عَلَيْكَ))[٩].

العدالة في الحرب والسلم: كان الإمام علي عليه السلام حريصاً على تطبيق العدالة حتى في الحرب، فقد نهى جنوده عن قتل النساء والأطفال والشيوخ، وعن تدمير الممتلكات العامة، كما كان عليه السلام يدعو إلى السلم إذا كانت الظروف مواتية لذلك، وقد قال عليه السلام في هذا الصدد: ((لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة وتركككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة لكم أخرى، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل))[10].

العدالة في الأخلاق: لم يقتصر اهتمام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على العدالة في الأمور السياسية والقضائية والاقتصادية، بل شمل عدالته في الأخلاق أيضاً، فقد أكدّ عليه السلام على العدالة الأخلاقية إذ كان (عليه السلام) يدعو إلى الصدق والأمانة والإخلاص والوفاء بالعهد، وينبذ الكذب والخيانة والغدر، وقد جاء ذلك في قوله عليه السلام: ((غاية العدل أنْ يعدل المرء في نفسه))[11].

١. نهج البلاغة: ٣/ ٧٦.
٢. نهج البلاغة، الكتاب: ٥٣.
٣. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٣/ ١٨٣٨
٤. المصدر نفسه.
٥. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٤/ ٢٣٨٤.
٦. نهج البلاغة: ٣/ ٩٤.
٧. محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة: ٤٠.
٨. نهج البلاغة، الحكمة: ٣٢٨.
٩. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٢/ ١٧٧١.
١٠. الشيخ الكليني، الكافي: ٥/ ٣٨
١١. محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ٣/ ١٨٤٣.

علي (عليه السلام) الفادي

لقد سجل أمير المؤمنين عليه السلام موقفا فدائيا من مواقفه البطولية التي سطرها طوال حياته نصرةً للدين وحفاظاً على حياة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، عند هجرته من مكة إلى المدينة؛ وأمره بالمبيت في فراشه، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أو تسلم يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: نعم، فأطمأن قلبه وبات في تلك الليلة على فراش النبي صلى الله عليه وآله وهو قرير العين لا يخشى سيوف المشركين وبطشهم.

فقد روي عن أم هانئ بنت أبي طالب عليها السلام أنّها قالت: ((لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بالهجرة وأنام عليا عليه السلام على فراشه، وسجاه ببرد حضرمي، ثم خرج فإذا وجوه قريش على بابه، فأخذ حفنةً من تراب فذرها على رؤوسهم، فلم يشعر به أحدٌ منهم ودخل على بيتي، فلما أصبح أقبل عليَّ وقال: أبشري يا أم هانئ فهذا جبرئيل يخبرني أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أنجى عليا عليه السلام من عدوه))[1].

وعن انس بن مالك قال: ((لما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الغار ... أمر النبي عليا عليه السلام أن ينام على فراشه ويتوشح ببردته فبات عليٌّ عليه السلام موّطنًا نفسه على القتل، وجاءت رجالُ قريش من بطونها يريدون قتل رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما أرادوا أنْ يضعوا فيه اسيافهم لا يشكّون أنَّه محمد صلى الله عليه وآله، فقالوا: ايقظوه ليجد ألم القتل ويرى السيوف تأخذه فلما أيقضوه ورأوه عليا تركوه وتفرقوا في طلب رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنزل الله عز وجل: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[البقرة/ ٢٠٧]))[2].

وروي عن ابن عباس: ((اجتمع المشركون في دار الندوة؛ ليتشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، فأتى جبرئيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره الخبر، وأمره أنْ لا ينام في مضجعه تلك الليلة، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله المبيت أمر عليا عليه السلام أنْ يبيت في مضجعه تلك الليلة، فبات علي عليه السلام وتغشى ببردٍ أخضر حضرميٍّ كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينام فيه، وجعل السيف إلى جنبه فلما اجتمع أولئك النفر من قريش يطوفون ويرصدونه ويريدون قتله، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهم جلوس على الباب، عددهم خمسة وعشرون رجلا، فأخذ حفنة من البطحاء، ثم جعل يذرها على رؤوسهم وهو يقرأ: ﴿**يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾[يس: ١-٢] حتى بلغ ﴿**فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾ [يس:٩].

١- العلامة المجلسي، بحار الأنوار:١٩/ ٥٧.
٢- الشيخ الطوسي، الأمالي: ٢/ ٦١.
٣- المصدر نفسه: ٤٤٥/ ٩٩٥.

لسان الأُمة

- قراءات دلالية في وصايا الإمام زين العابدين عليه السلام

أ.م.د. سحر ناجي المشهدي
الكلية التربوية المفتوحة / النجف الأشرف

- تراصف الصفات في كلام أمير المؤمنين الخطبــة الغــرّاء

د. أحمد الذهب
دبي / الإمارات العربية المتحدة

قراءات دلالية في وصايا الإمام زين العابدين عليه السلام

أ.م.د. سحر ناجي المشهدي
الكلية التربوية المفتوحة / النجف الأشرف

حين نتتبع كلام الإمام علي بن الحسين عليه السلام سيد العابدين، وزين الصالحين نجد فيه آدابًا تربوية عامة ودروسًا أخلاقية عظيمة، وفيها من اللمسات الوجدانية المتتابعة التي تصدر عن سلوكه العبادي المستمر، وقد استهل الإمام (روحي فداه) رسالته بحق الله تعالى ثم حقوق الآخرين، وهذا إن دلَّ على شيء فدلالاته المطلقة على التنشئة الاجتماعية الخاصة التي انعكست على سلوكه القويم، ومن بين المعاني والتأملات التربوية العظيمة نستعرض عدة جوانب منها في كلامه (سلام الله عليه) من الناحية الدلالية.

دعوته إلى العدل وترك الظلم:

ومنها وصيته لولده الإمام الباقر عليه السلام حين دنت وفاته فضمّه إلى صدره وقال: ((يابُنَيَّ، إيّاكَ وظُلمَ مَن لا يَجِدُ علَيكَ ناصِراً إلّاالله))[1]، وفي هذه الوصية يذكر الإمام ما أوصاه أبيه إليه من قبله وذلك واضح في ((أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة))، ويتبين فيها نبذ الظلم، فحذّره بالضمير(إيّاك) منالظلم وهو منع صاحب الحق من حقه في كل حقوقه، فالعدل يكون مع الله تعالى أوّلًا ثم الجميع وأقلُّ واجب في حق الله تعالى وحدانيته.

مخافة الله تعالى وقبول العذر والصفح :

يقول الإمام ناصحًا وموجهًا ومرشدًا: ((خَفِ اللهَّ تعالى لِقُدرَتِهِ علَيكَ، واستَحيِ مِنهُ لِقُربِهِ مِنكَ، لا تُعادِيَنَّ أَحَداً وإن ظَنَنتَ أَنَّهُ لا يَضُرُّكَ، ولا تَزهَدَنَّ في صَداقَةِ أَحَدٍ وإن ظَنَنتَ أَنَّهُ لا يَنفَعُكَ، فإنّكَ لا تَدري مَتى تَرجو صَديقَكَ، ولا تَدري مَتى تَخافُ عَدُوَّكَ، ولا يَعتَذِرْ إلَيكَ أَحَدٌ إلّا قَبِلتَ عُذرَهُ وإن عَلِمتَ أَنَّهُ كاذِبٌ، وَلْيَقِلَّ عَيبُ النّاسِ على لِسانِكَ))[2]، فأمر ولده الباقر عليه السلام بالخوف والحياء ونهاه عن المعاداة لأي أحد، وفيه أيضًا أسلوب تأدبي من طلب الصداقة، لكيلا يكون له أعداء في المستقبل، وطلب قبول العذر حتى وإن كان كاذبًا، كما أمره بأن لا ينقل عيوب الناس، وكما نلاحظ هو خطاب للعامّة وليس للإمام الباقر عليه السلام حسب.

الظفر والفوز والنجاة:

وذلك في استعماله لبعض الألفاظ الحسيّة التي تعني النجاة والوصول إلى بر الأمان ومنها لفظ (السفن)، فيقول في إحدى مناجاته ((اللهم احملنا في سفن نجاتك، ومتعنا بلذيذ مناجاتك، وأوردنا حياض حبك))[3].

وهنا يتبين أثر اختيار اللفظ المناسب للموضع المناسب، ومجيئه بصيغة الجمع، فالسُّفن جمع سفينة، فهو السبب الموصل إلى بر الأمان، فيشبِّه التمسك بالله تعالى كالسفينة المنجية إلى بر الأمان، ويطابق قول الإمام السجاد قول نبينا رسول الله صلى الله عليه وآله: ((مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق))[4]، فسفينة الحسين عليه السلام هي الأسرع من بين سفن النجاة، ففي دمه الطّاهر الأثر الكبير في صناعة التأريخ.

الستر والتغطية على الذنوب:

ومنها استعماله لعدد من الألفاظ كـ (الغمام، والسحاب والغطاء).

فيقول الإمام عليه السلام: ((إلهِي ظَلِّلْ عَلَى ذُنُوبِي غَمامَ رَحْمَتِكَ))[٥]، وهنا يظهر التأدب في الدعاء بأن يظلل على الذنوب كما تظلل الغمام وجه الأرض.

الإنبات للأعمال الصالحة:

ومنها استعماله لألفاظ الزرع كـ(الغرس والزرع والرياض) فاستعمل الغرس للأشجار، ويقول في مناجاة الزاهدين: ((وَأَغْرِسْ في أَفْئِدَتِنا أَشْجارَ مَحَبَّتِكَ))[٦]، فشبّه الغرس لأشجار المحبة، ومكانها(الأفئدة) ولم يستعمل لفظ (القلب)، والغرس نزع الحبة وزرع النواة في الأرض[٧].كما فعل من قبله جدّه أمير المؤمنين؛ في استعارة لفظ الغرس لزيادة الأعمال الصالحة ونموها فيقول: ((واعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَباتاً - وكُلُّ نَباتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْماءِ - والْمِياه مُخْتَلِفَةٌ فَمَا طَابَ سَقْيُه طَابَ غَرْسُه وحَلَتْ ثَمَرَتُه[٨]، والغريسة: النخلة أول نبتها[٩].

ودعوة الإمام عليه السلام لإنبات أشجار المحبة في الفؤاد، فشبّه هذا الحب للخالق العظيم بالأشجار؛ لصلابتها وصعوبة نزعها.

ستر المخالفة ومحوها:

ومنها استعماله لألفاظ الملبس كـ(الثوب والجلباب والسربال واللباس) وفي صورة الدعاء الخاص، ومنها قوله: ((وَانْزَعْ عَنَّا جَلابِيبَ مُخالَفَتِكَ وَتَوَلَّ امُورَنا بِحُسْنِ كِفايَتِكَ))[١٠]، والجلباب: الثوب الطويل الواسع الساتر لحجم البدن، ومن مصاديقه العباءة المتداولة في الحال الحاضر، وقيل: أوسع من الخمار دون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها، وقيل: الملحفة[١١].

وفي استعمال لفظ (الجلابيب) بصورة الجمع استعارة للأبدان والهيئات المكتسبة منها باعتبار حجبها لأمور الآخرة عنهم، والاستعارة في(النزع) للجلباب دلالات على قوة التصوير الحسّي، وهذا ما يدلّ على أن ستر الذنوب كستر الأبدان وكلاهما يعني ا لستر .

وفي كلّ ما تقدم يتضح أنّ الإمام السجاد عليه السلام كان يعني بالاستعمال المجازي لألفاظه في الدعاء إشاعة ثقافة التأدب في طلب الدعاء.

---

١. الكليني، الكافي: ٢/ ٣٣١.
٢. الريشهري، ميزان الحكمة: ١٣/ ١٨٠ .
٣. المجلسي، بحار الأنوار: ٩١/ ١٤٧
٤. البستي: المراتب في فضائل أمير المؤمنين وسيد الوصيين: ١٦٠.
٥. الإمام السجاد، الصحيفة السجادية: ٢٨٦.
٦. المجلسي، بحار الأنوار: ٩١/ ١٥٤.
٧. ظ: ابن منظور، لسان العرب (مادة غرس): ٥/ ٣٢٤٠.
٨. الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: خطبة ١٥٤، ٢١٥.
٩. ظ: ابن منظور، لسان العرب (مادة غرس): ٥/ ٣٢٤٠.
١٠. الإمام السجاد عليه السلام، الصحيفة السجادية: ٣١٨.
١١. ظ: الشيرازي، من فقه الزهراء: ٢/ ٧٧.

تراصف الصفات في كلام أمير المؤمنين
الخطبة الغرّاء

د. أحمد الذهب
دبي - الإمارات العربية المتحدة

تعدّ الخطابة إبّان عصر صدر الإسلام الفنّ الأبرز بعد تراجع الشعر أمام غلبة النصوص القرآنية المؤيَّدة بقدسية مُنشئها، وجلالة مبلّغها ومتانة ألفاظها وعظمة معانيها. فترى الشعر وقد كان فنّ العرب الأول منذ قرون ينحني إجلالاً لمتانة النص القرآني ويتخلّى عن كثيرٍ من إبداعه وروعته، لا سيما بعد رحيل أشهر شعرائه الجاهليين، وجنوح الناس إلى قراءة القرآن وتدبر معانيه وتأمل آياته، كما انّ ظروف الحياة العربية الجديدة قد استدعت فنّاً يلبي حاجة الدواعي الدينية والسياسية والاجتماعية من تبليغ وتشريع ومحاججة وتعبئة، مما لا يتوافر جميعاً في الشعر رغم طاقاته الفنية المترامية، فضوابطه الأسلوبية قد تقصر عن استيعاب قصدية الرسالة الإسلامية بمقاصدها الكبرى وغاياتها العليا.

الفن النثري:

وهذا ما جعل العرب يلجؤون إلى الفنّ النثري الذي كان معروفاً بجانب الشعر، والذي يشاركه شروط البلاغة وضوابط الفصاحة، فيما يتطلبانه من موهبة وملكة لم يفز بها إلا ثلّة من العرب لم تجُدْ الظروف بالكثير منهم جودَها بأقرانهم من أصحاب القوافي.

وقد تهيّأت للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ركائز البلاغة ودعائم الفصاحة ما فاق به فحول شعراء العرب، رغم أنّه لم يقصدها إظهاراً لمقدرته، ولم يطلبها استدلالاً على تفوقه. فلا يختلف الأدباء والمؤرخون في أنّ (كلام عليّ - أمير المؤمنين - يأتي في مراتب البلاغة بعد القرآن والحديث)، كما ورد في تاريخ الأدب العربي.

وليس الأمر ببعيدٍ على من تربّى في حجر أرومة الفصاحة ومنبع البلاغة، سيد من نطق بالضاد مبنىً ومعنىً ﷺ.

إنّ إيمان الإمام عليّ عليه السلام وعلمه بخالقه تعالى اسمه، وما نهله من حبيبه الذي بُعث معلماً لينساق درراً لامعةً في كلامه وعباراته حتى لكأنّ قارئه يسمع أجود الأشعار وأبلغ الحكم سلاسةَ كلماتٍ، ودفقَ عباراتٍ، وتراصُفَ صور تكاد لا تنتهي حتى تشكّل بناءً متيناً متراصفاً يبدع الفكرة، ويعمّق النظرة، ويجلو المعاني، ويستظهر الحقيقة.

وأحسب أنّ بلاغته عليه السلام تنساب فلا تنتهي وتتسلسل فلا تتوقف، إلاّ إنه يمسكها بإرادته ويقطعها بمعرفته خشية على العقول، ورأفة بالنفوس، وحرصاً على المدارك، ولعل أقواله في صفات الخالق سبحانه وتعالى خير تمثيل لذلك الدفق السلسال من الصور البليغة الموحية بعظمته سبحانه، والدالة على علم أمير المؤمنين وقوّة بيانه.

فإننا نراه في مراقي خطبه، ورواقي كلامه حين يذكر صفات الخالق عزّ وجلّ لا يكتفي بصفة أو اثنتين أو ثلاث، ينسلّ بعدها إلى غرض خطبته وغاية كلامه، بل يقف ليرصف الصفات رصفاً ليظهر عظمة ربّه سبحانه، ويشير إلى جلاله عزّت صفاته. ولعلك لا تحتاج جهداً ولا تتطلب وقتاً في استظهار ذلك، فمن سطور "نهج البلاغة" الأولى تتجلى عظمة الخالق في تراصف الصفات التي يصوغها الإمام عليه السلام .

وفي استعراضنا الخطب التي اشتركت في موضوع تمجيد الذات الإلهية وبيان عظمته وقدرته خاصة، نجد الإمام يرصف الصفات بطريقين متقاطعين يوصلان إلى غاية واحدة؛ طريق الإثبات، وطريق النفي، ففي الطريق الأول يقدم الصفات العظيمة بجلاء واستفاضة وكأنها بناء يمسك بعضه ببعض معنىً ويعضد متقدّمه تاليه لفظاً ((كائِنٌ لا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لا بِمُقَارَنَةٍ، وَغَيْرُ كُلِّ شيءٍ لا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِه))[1].

إنّ بلاغته عليه السلام تنساب فلا تنتهي وتتسلسل فلا تتوقف، إلاّ إنه يمسكها بإرادته ويقطعها بمعرفته خشية على العقول، ورأفة بالنفوس، وحرصاً على المدارك

وتتجلى هذه الصفات في درر أمير المؤمنين معبّرة عن عظمة الخالق سبحانه بمتن لغوي يصعب أن نجد مثيلاً له في دقة معانيه وترابط ألفاظه وتناسق هذه بتلك فلا يقصر لفظ عن أداء معنى ولا يتخلف معنى عن جرس لفظ

أمّا طريق النفي فإنه عليه السلام يظهر عظمة الخالق بوصف عجز المخلوق عن معرفة ذاته أو عدّ نعمائه أو بلوغ شكره أو أداء حقه ((لا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الهِمَمِ، وَلا يَنَالُهُ غَوْصُ الفِطَنِ))، فـ((لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، وَلا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، وَلا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلا أَجَلٌ مَمْدُودٌ))[٢] تبارك ربنا وتعالى.

الخطبة الغرّاء:

وخطبة الإمام العظيمة المسمّاة "بالغرّاء"، وهي الخطبة الثانية والثمانون في كتاب النهج نموذج بليغ لتراصف صفات الخالق في كلام أمير المؤمنين، وهي من الخطب الكثيرة التي أظهرت هذا الرصف البديع، وتجلّت فيها بلاغة الإمام وفصاحته وعظمة فكره ومنطقه، فضلاً عن حبّه ربّه. وفيها يتطرّق لذكر نعوت الله جل شأنه والوصية بتقواه والتنفير من الدنيا، ثم تنبيه الخلق إلى ما هم فيه من الاعراض، يقول عليه السلام في أولها: ((الْحَمْدُ لله الَّذِي عَلاَ بِحَوْلِهِ، ودَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ))[٣].

فيبدأ بجملتين فعليتين فعلاهما ماضيان، يتحرّك معهما فكر السامع نحو القدم، ليتبصّر في قدرته وملكوته سبحانه، فقد علا وعزّ عن جميع ما سواه، وكان له الحول والقوّة والسلطان، لكنه دنا برحمته وكرمه، فقرُب من عباده تنعماً وفضلاً. وإذ يبيّن الإمام هذه الحقيقة، يشفعها بوصف آخر لقدرته عزّ وجلّ، ولكن بجملتين اسميتين هذه المرّة تعكسان ثبات حَوله وبقاء طَوله ونعمته دائماً، صفتان تصدران من قدرة واحدة فهو واهب الفضل أبداً، وهو كاشف كل أمر عظيم، أو شدّة أو ضيق، وكلاهما نعمة ورحمة منه تبارك اسمه على عباده. فإذا

نظرت في بناء الجمل ستجدها متناظرة لفظاً وإيقاعاً من دون زيادة أو نقصان بما يُعرف عند البلاغيين بالمماثلة، ومع تناظرها اللفظي تقابلت معانيها لتترابط ترابط صفوف البناء المتماسك: مانح - كاشف، غنيمة - عظيمة، فضل - أزْل.

علاقة العبد بربّه:

ويمضي الإمام في الخطبة ذاتها ليصوّر علاقة الإنسان بربه من خلال صفاته العليا وأسمائه الحسنى: ((وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً، وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً)). علاقة لابدّ أنّ العبد فائز فيها، فالإيمان بالأول السابق لكلّ الوجود، والهداية منه سبحانه فهو أقرب إليه من حبل الوريد، يقول ابن أبي الحديد معلّقاً على هذه العبارة: (جعل "قريباً هادياً" مع قوله: "أستهديه"، لأنّ الدليل القريب منك أجدر بأن يهديك من البعيد النازح). والاستعانة به فهو القادر القاهر والتوكل عليه، فنعم الكافي الناصر.

وتنساب العبارات والجمل من خلال وصاياه بتقوى الله ناسجة أواصر العلاقة بين الخالق والمخلوق من خلال قدرة الخالق ومنّهِ على عبده وإحاطته به، بما يوجب تقواه وخشيته وشكره على عظيم نعمه وجميل إحسانه:

((أُوصِيكُمْ عِبَادَ الله بِتَقْوَى الله الَّذِي ضَرَبَ الْأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمُ الْآجَالَ، وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعَاشَ، وَأَحَاطَ بِكُمُ الْإِحْصَاءَ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، وَالرِّفَدِ الرَّوافِغِ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ، فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً، ووَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً))[٤].

ففي كلّ صفة من صفاته نعمة سابغة - مادية أو معنوية - يَنعَم بها الإنسان، فقد ضرب سبحانه الأمثال لإيضاح الحجج وتقريرها في الأذهان، وألقى عليه من جوامع الفضل في الحياة والمعيشة واللباس والنماء مؤثراً إيّاه على سائر خلقه.

وترى الإمام وهو يعلم أنّ ﴿**الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ**﴾[سورة العلق: ٦-٧]، وأنه ينسى إذا ما أحاطت به النعمة، يجعل أمام كلّ صفة من صفات نعم الخالق، صفة تقابلها تذكر الناس بمآلهم وآخرتهم، من خلال إدراج صفات القدرة والعدل والإحصاء عنده سبحانه، فلا يغرق الإنسان فيما أنعم عليه، وينسى ما أوجبه منه، فإنّ ربّه موقّت الآجال، والمحيط بالإحصاء، والمرصِد بالجزاء، وبعد هذه الدنيا التي يمرّ فيها عمر الإنسان مرّ السحاب، لا يلبث أن يأتي يوم يُظهر له ما كسب وما اكتسب.

صفات قدرة الخالق في المخلوق

ويجسّد الإمام صور الإنسان تجسيداً واضحاً من خلال خلق الله وعظمة تصويره، فهو الخالق البارئ المصوّر،((جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا، وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا، وَأَشْلاَءً جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا، مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِهَا فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا، وَمُدَدِ عُمُرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلِّلَاتِ نِعَمِهِ وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ)). هكذا تتجلى مقدرة الخالق العظيم في خلقه وما وهبهم من أسماع وأبصار نافعة لأصحابها، وأشلاء متناسقة في جوانبها وانحناءاتها مع الأبدان والقلوب وما هُيئت له في دأب طلب رزقها والسعي لمنافعها، فما أعظمها صفات للخالق تظهر في صور خلقه! وتلمع في هذا الكلام المرصوف بمعانٍ تملأ ألفاظها وتتواشج معها في تجانس يقع في النفس فيجعلها تتدبر قدرة الخالق وعظمته، لا سيما في رشاقة العبارات وانسجام الفواصل، وإن كانت غايته سلام الله عليه العبرة والإرشاد ومخاطبة عقول الناس وقلوبهم خدمة لدين الله وسعياً من أجل تثبيته في النفوس، يقول عبد القاهر الجرجاني: ((إنّ المعاني إذا أرسلت على سجيتها وتُركت وما تريد، طلبت لنفسها الألفاظ ولم تكتسِ إلا ما يليق بها))[٥].

وتتجلى هذه الصفات في درر أمير المؤمنين معبّرة عن عظمة الخالق سبحانه بمتن لغوي يصعب أن نجد مثيلاً له في دقة معانيه وترابط ألفاظه، وتناسق هذه بتلك فلا يقصر لفظ عن أداء معنى ولا يتخلف معنى عن جرس لفظ، بما سمّاه البلاغيّون - بعد عليّ بقرون - بالمساواة، وهو: (أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى، لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وذلك يعد من البلاغة)، فالبلاغة تنهال عفواً وسليقة من لسان أمير المؤمنين، وما هذه الاقتباسات القليلة إلا نماذج لنصوص كثيرة ملأت نهج البلاغة رصف فيها الإمام الصفات رصفاً لتظهر عظمة الخالق وبديع خلقه سبحانه وتعالى.

---

١. المجلسي، بحار الانوار: ٧٤/ ٣٠٠.
٢. المصدر السابق.
٣. ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٦/ ٢٤١.
٤. المصدر السابق.
٥. احمد بن مصطفى المراغي، كتاب علوم البلاغة: ٣٦٦.

قُـــــرة الأَعيُن

- أهمية الأخلاق في حياة الإنسان

م.م محمد هاشم جبار العوادي
مديرية تربية ذي قار

- دور الأســـرة في تربيـــة الأطفـــال لبنـــــاء جيـــل متميز

قحطان محمد علي
مسجد الكوفة المعظم/ العلاقات العامة

أهمية الأخلاق في حياة الإنسان

م.م محمد هاشم جبار العوادي
مديرية تربية ذي قار

إذا كان العلـــم نوراً، فذلك يعني: أن القضيّة ليســـت في أن يتعلّم الإنســـان في المدرســـة، أو لا يتعلّـــم فيها، بل القضيـــة هي أن هنـــاك درجات من العلـــم، لا يحصل عليهـــا المتعلم إلاّ من خلال الأخلاق والإيمان والســـلوك المســـتقيم، حتـــى إذا أخلّ بهذا الجانب، وحُـــرِم من الصفاء الروحـــي، فإنّه يُحْرَم مـــن درجات وأنواع مـــن العلوم.

وقد ألمح الله تعـــالى في قولـــه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَـــاهُ آيَاتِنَا فَانْسَـــلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّـــيْطَانُ فَـــكَانَ مِـــنَ الْغَاوِينَ﴾ [الاعـــراف: ١٧٥]، فكم هـــو دقيق ولطيف هـــذا التعبير بالانســـلاخ الذي يشـــير إلى أن هذه الآيـــات ملتصقة في فطرته، ناشـــئة معـــه، حتى أصبحت جـــزءاً من كيانه، حتـــى ليحتاج إلى الانســـلاخ منها؛ ﴿فَانْسَـــلَخَ مِنْهَا﴾.

الاخلاق في اللغة والاصطلاح:

جمـــع للفظ الخلق وهي مشـــتقة مـــن الجذر اللغـــوي خلـــق، والخلق هـــو الديـــن والطبع و السجية[١].

مـــن وجهة نظر علـــم الاجتـــماع: مصطلح مشـــتق من الكلمـــة اللاتينية (مـــوس) ويقصد بها التقاليـــد والأعراف.

أمّا الأخـــلاق في الفكر الإســـلامي: مجموعة من المبادئ والقواعد الناظمة لســـلوك الإنســـان التـــي يحدّدهـــا الوحـــي لتنظيم حيـــاة الناس وتحديد علاقاتهـــم بغيرهم.

لا يـــكاد يختلـــف أحـــد عـــلى أنّ الأخلاق الحســـنة هي من الأمـــور المهمة التـــي جاء بها الإســـلام وأوصانا بها الرســـول وأهل بيته عليهم السلام فهي التي يتحرّك الإنســـان على أساســـها؛ حيث إنّها تنشـــأ في الغالب عـــن الحالـــة الأخلاقية، وذلـــك يؤكّد خطـــورة وأهميـــة دور الأخلاق التـــي تغـــرس في النفس المعـــاني الإنســـانية وصفـــات الخير، وتنشِّـــؤها، وترشِّـــدها، وكم لها من تأثير على مســـتقبل الإنســـان، بســـبب عمق تأثّر الحالـــة الفكرية والإيمانيـــة والمعرفية، بالميزات الروحية، وبالأخـــلاق، حتى إن فقدها (أي القيم والمعايـــير) يؤثّر على ســـلامة المعرفة لدى الإنســـان ويؤدّي إلى أن يجحـــد بيوم الدين. وهذا يفـــسّر لنا: أن مـــن الناس مـــن يضلّه الله على علم، كما أنـــه يعرفنا كيـــف أن الطهارة من الذنـــوب تعين على فهـــم القرآن، حســـبما روي عن الإمـــام السجّاد عليه السلام[٢].

وكذا الحـــال فيـــما ورد مـــن أن العلم ليس بكثرة التعلّـــم، وإنما هو نور يقذفـــه الله في قلب من يشـــاء، والمقصود ليس هو العلوم المكتســـبة طبعاً، فإنّها ممّـــا يصل إليه المؤمـــن وغير المؤمن.

فـــإذا كان العلـــم نـــوراً، فذلـــك يعني: أن القضيّة ليســـت في أن يتعلّم الإنسان في المدرسة، أو لا يتعلّـــم فيها، بـــل القضية هـــي أن هناك درجات مـــن العلـــم، لا يحصل عليهـــا المتعلم إلاّ مـــن خلال الأخـــلاق والإيمان والســـلوك المســـتقيم، حتـــى إذا أخلّ بهـــذا الجانب، وحرم

من الصفاء الروحي، فإنه يحرم من درجات وأنواع من العلوم، وقد ألمح الله تعالى في قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (الاعراف: ١٧٥)، فكم هو دقيق ولطيف هذا التعبير بالانسلاخ الذي يشير إلى أن هذه الآيات ملتصقة في فطرته، ناشئة معه، حتى أصبحت جزءاً من كيانه، حتى ليحتاج إلى الانسلاخ منها؛ ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾، وهذا ما يشير إليه أيضا قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة:٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان:٤٤] وأمثال هذه الآيات كثير[٣].

فالإسلام دين شامل للحياة البشرية، صالحٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، ضامنٌ لكلِّ أمةٍ وطبقة، فيه النفع للدولة والمجتمع والفرد معاً، فلا صلاح ولا أمان للعالم إلّا به، والمهمة الأخلاقية في نظره أشد ضرورة؛ ولذلك نرى أن الأخلاق هي من أهم الدعائم والأسس التي يقوم عليها نظام الحياة البشرية، ومما لا شك فيه أنّ المستوى الأخلاقي للأمة مقياس حضارتها وأساس بناء مجتمعها.

وقد تكلم بعض العلماء بكلام جامع بيّنوا فيه حقيقة حسن الخلق، هو أن يكون الرجل كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برّاً وصولاً، وقورًا صبورًا، رضيًا حليمًا، رفيقًا عفيفًا شفيقًا، لا لعّانًا ولا سبّابًا، ولا نمّامًا ولا مغتابًا ولا عجولاً ولا حقودا ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشّاشاً هشّاشا، يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله، ويغضب في الله[٤].

ونرى أن الأخلاق الحميدة عند الإسلام احتلّت مكانةً مرموقةً وأخذت حيّزًا متسعًا في أحكامه وتعاليمه، فقد يظهر ذلك في الحث والتشديد على الاستمساك بها وتأكيده على التحلّي بها، ودعوته إلى التخلّي عن أضدادها، و تُعدُّ مكارم الأخلاق علامةً لكمال الإيمان وسمة من سمات المؤمن ومقصدا لرسالته ومهمّته، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: ((إنّ أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا وألطفهم بأهله))، وروي عنه ﷺ ((لا تحقرن ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق))[٥].

وكما قال رسول الله ﷺ في حديثه: ((وخالق الناس بخلق حسن))[٦]، معنى ذلك أن الرسول جاء بالإسلام منفتحاً على الآخر حيث «وخالق الناس» وليس المسلم فقط، وهذا لعلّ وعسى أن يراك الآخر متحلّيا بالأخلاق الحميدة، فيكون سببا في هدايته للإسلام، إنّ خيرية الرجل لا تقاس بصلاته وصيامه فحسب بل لا بد من النظر في أخلاقه و شيمه .

ومعنى حسن الخلق: ((سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين الناس))[٧].

فمكارم الأخلاق أشد حاجة للأفراد والمجتمع البشري، وغاية من أسمى الغايات الإنسانية، ومن أعظم المقوّمات للحضارة

الإنسانية، لا يمكن الاستغناء عنها لأي نوع من الأنواع البشرية ولا لأي مجتمع من المجتمعات الإنسانية، من أجل ذلك منذ أوّل وجود المجتمع الإنساني كانت المهمة الأخلاقية من أحسن المهمات لسائر الأديان والمذاهب، وحسن الخلق من أفضل ما يقرّب العبد إلى الله تعالى، وإذا أحسن العبد خلقه مع الناس أحبّه الله والناس، و حسن الخلق يدلُّ على سماحة النفس وكرم الطبع، فهو يرفع الدرجات و يعلّي الهمم، وحسن الخلق يحوّل العدو إلى صديق،كما أنّ حسن الخلق أمرٌ مطلوب وواجب على المؤمن، فتجنّب أخلاق السوء أمر لازم مؤكد؛ لأنّ سوء الخلق باب من أبواب الإثم، وينفر الناس مما اتصف به، ولذلك قيل: من ساء خلقه قلّ صديقه، فما أحوجنا - نحن المسلمون - أن نتحلّى بالأخلاق الرفيعة، وسيرة النبي العطرة التي وصفها خالقه ومربيه في كتابه الحميد ناصحًا لعباده المؤمنين، ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[الأحزاب:٢١]ونجنّب أنفسنا عن مساوئها وأضدادها التي تنتج التفكك والتشتت والانهيار والانحلال، والدمار و الهلاك .

فهذه المبادئ الأخلاقية ضرورة في بناء المجتمعات سياسياً واجتماعيا ودينيا وثقافيا، كما هي محاور فكرية متباينة مستنيرة ترسي دعائم قيام المجتمع الإنساني، كما يريد خالق البشر، ويشعر الإنسان من خلالها أنّه خليفة الله في الأرض بما ناله من تكريم إلهي يحيا من خلاله حياة آدمية كما ينبغي أن تكون[٨].

فالأخلاق الفاضلة هي التي تحقّق في الإنسان معاني الإنسانية الرفيعة، وتحيطه بهالة وضّاءة من الجمال والكمال، وشرف النفس والضمير، وسموّ العزة والكرامة، كما تمسخه الأخلاق الذميمة، وتحطّه إلى سويّ الهمج والوحوش، وليس أثر الأخلاق مقصوراً على الأفراد فحسب، بل يسري إلى الأمم والشعوب، حيث تعكس الأخلاق حياتها وخصائصها و مستوى رقيّها، أو تخلفها في مضمار الأمم، وقد زخر التاريخ بأحداث وعبر دلّت على أنّ فساد الأخلاق وتفسّخها كان معولاً هدّاماً في تقويض صروح الحضارات، وانهيار كثير من الدول والممالك، وناهيك عن عظمة الأخلاق، أنّ النبي ﷺ أولاها عناية كبرى، وجعلها الهدف والغاية من بعثته ورسالته، فقال: ((بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق)).

وهذا هو ما يهدف إليه الإسلام من علم الأخلاق، بما يرسمه من نظم وآداب، تهذّب ضمائر الناس وتقوّم أخلاقهم، وتوجههم إلى السيرة الحميدة، والسلوك الأمثل.

١- ابن فارس، مقاييس اللغة:٢/ ٢١٣، ابن منظور لسان العرب:٨٦.
٢- الإمام السجاد، الصحيفة السجادية، الدعاء عند ختم القرآن: ١٣٦.
٣- اخلاق اهل البيت، السيد مهدي الصدر.
٤- ابن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب.
٥- المجلسي، بحار الانوار:١٤/ ١٢١.
٦- الأمالي، الطوسي:١٨٦.
٧- البيهقي،أحمدبنالحسين:٦/ ٢٢٩.
٨- محمد زكي حجازي، المسؤولية في الإسلام: ٣٣.

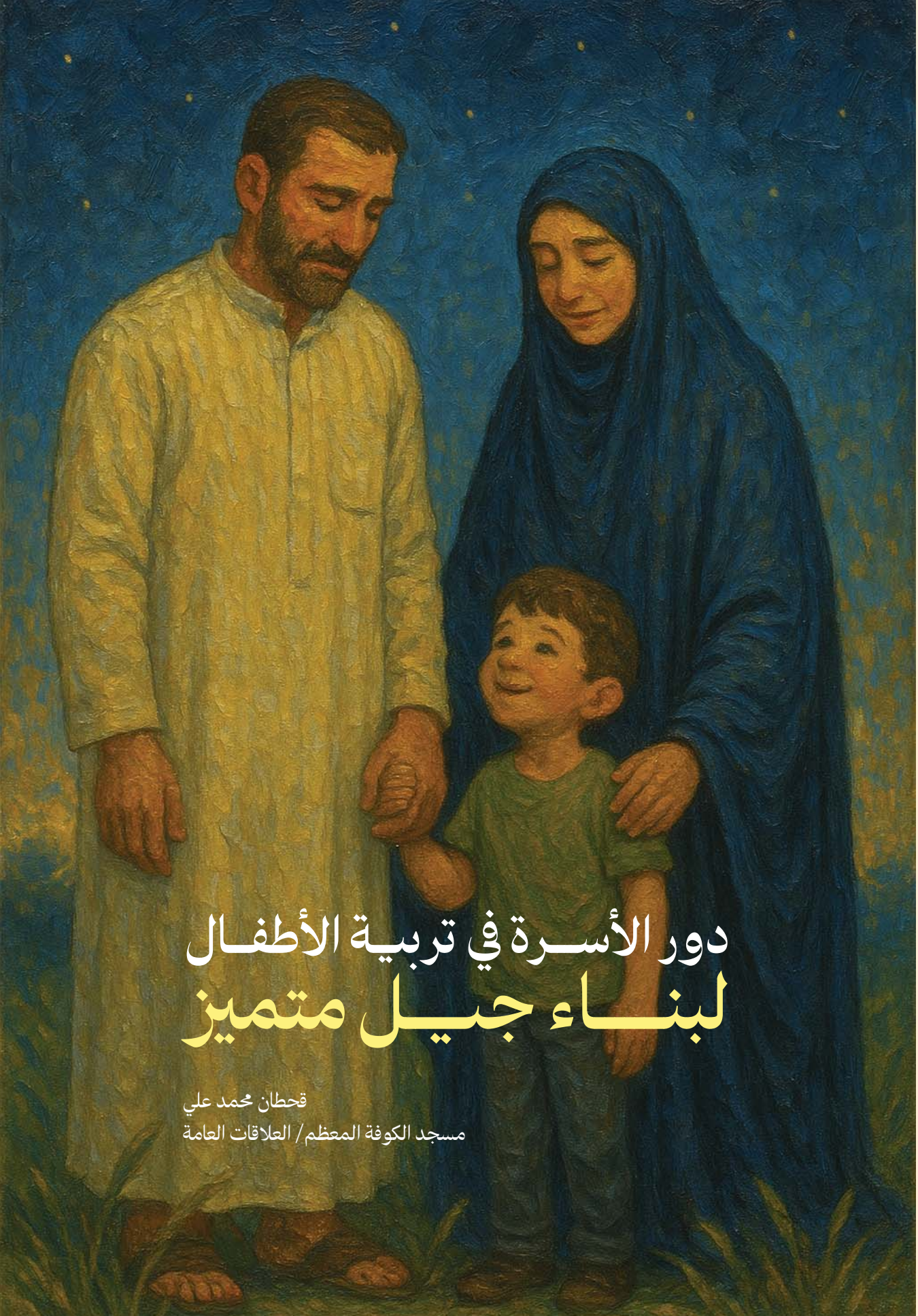

دور الأسـرة في تربيـة الأطفـال
لبنـــاء جيـــل متميز

قحطان محمد علي
مسجد الكوفة المعظم/ العلاقات العامة

تُعـدُّ الأسرة اللبنـة الأولى في بنـاء المجتمـع، فهـي الحجـر الأسـاس الـذي ينشـأ فيـه الطفـل ويتلقى مـن خلاله قيمه وسـلوكياته، وتتشـكل لديـه أولى ملامـح شـخصيته، فـإنّ تربيـة الأطفال ليسـت مجـرد مسـؤولية عابرة بـل هـي رسـالة عظيمـة تتطلـب الحكمـة والصـبر والإخـلاص؛ لأنّ الأبنـاء هـم أمـل المسـتقبل وعـماد الأمـة، فـالأسرة المؤهلـة والواعيـة هـي التـي تسـتطيع أن تصنـع جيلًا متميـزًا قـادرًا عـلى مواجهـة تحديـات الحيـاة وبنـاء مجتمـع متقـدم.

القدوة الحسنة وتأثيرها في الأطفال:

إن القـدوة الحسـنة مـن أهـم العوامـل التـي تؤثـر في تنشـئة الطفـل بشـكل إيجـابي، فالطفـل يتأثـر بسـلوكيات الوالديـن وتصرفاتهـم أكثـر مـن تأثـره بالـكلام والنصائـح إذا رأى الطفـل في والديـه الصـدق، والإحسـان، وحسـن التعامـل، فإنّـه سـيحاول تقليـد هـذه الصفـات في حياتـه.

وقـد أشـار النبـي ﷺ إلى أهميـة القـدوة حـين قـال: ((كلُّ مولـودٍ يُولَـد عـلى الفطـرة، و إنـما أبـواه يهودانـه وينصرانـه))[1]، فالوالـدان همـا النمـوذج الأول الـذي يحتـذي بـه الطفـل في حياتـه، لـذا ينبغـي أن يكونـا حريصـين عـلى تقديـم الصـورة المثاليـة في الأخـلاق والمعاملـة.

غرس القيم الإيجابية منذ الصغر:

إن القيـم مثـل: الأمانـة، والصـدق، والتعاون، والتسـامح لا تنشـأ في الطفـل مـن فـراغ بـل تـأتي نتيجـة التربيـة السـليمة التـي تبـدأ مـن الأسرة، و ذلـك مـن خـلال المواقـف اليوميـة والممارسـات الحياتيـة، يمكـن غـرس هـذه القيـم في الطفـل بطـرق مبـاشرة وغـير مبـاشرة، ومـن الأمثلـة التـي يقدّمهـا الإسـلام في غـرس القيـم الإيجابيـة قصـة لقـمان الحكيـم مـع ابنـه، حيـث أوصى ابنـه بالصـلاة والصـبر والابتعـاد عـن الكـبر، كـما ورد في قولـه تعـالى: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقـمان: ١٧].

دور الأسرة في مواجهة التحديات العصرية:

إن مـع التغـيرات السريعـة في العـصر الحديث، يواجـه الأطفـال تحديـات كثـيرة مثـل تأثـير وسـائل الإعـلام ومواقـع التواصـل الاجتماعـي ممـا يضاعـف مـن مسـؤولية الأسرة.

عـلى الأسرة أن تواكـب هـذه التطـورات مـن خـلال مراقبـة المحتـوى الذي يتعـرّض لـه الطفل، وتوجيهه نحـو الاسـتخدام الإيجـابي للتكنولوجيا، كـما يمكـن لـلأسرة اسـتثمار أوقـات فـراغ الأطفـال في الأنشـطة المفيـدة كالمطالعـة وممارسـة الهوايـات التـي تعـزز مـن مهاراتهـم.

إن مسـؤولية تربيـة الأطفـال ليسـت مجـرد مسـؤولية عابـرة بـل هـي رسـالة عظيمـة تتطلـب الحكمـة والصـبر فـالأسرة هـي النـواة الأولى التـي يتلقـى فيهـا الطفـل قيمـه وأخلاقياتـه، وهـي البيئـة التـي تتشـكل فيهـا شـخصيته وقدراتـه وقـد جـاء في القـرآن الكريـم تأكيـد عـلى أهميـة الأسرة ودورهـا في تربيـة الأبنـاء كـما في قولـه

تعـــــالى: ﴿وَقُـل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، إن هذه الآية تعكس عمق العلاقة بين الآباء والأبناء وأهمية التربية التي تقدمها الأسرة.

الاهتمام أساس التربية الناجحة:

يحتاج الطفل إلى أن يشعر بأنه محبوبٌ ومقبولٌ كما هو، فالاهتمام بمشاعره ومشاركته أفراحه وأحزانه يعزّز من ثقته بنفسه، مما يساعده على مواجهة تحديات الحياة بثبات، وقد أكدّ القرآن الكريم أهمية الرحمة والتواصل داخل الأسرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، إذن فالاهتمام والحب هما الأساس في بناء شخصية الطفل وإعداده للحياة.

التعليم يبدأ من المنزل قبل المدرسة:

يمكن للأسرة أنْ تغرس القيم النبيلة كالصدق، والأمانة، والتسامح من خلال القدوة الحسنة والمحادثات اليومية،وأشار القرآن إلى دور التعليم وغرس القيم، كما في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[التحريم: ٦]، فهذه الآية الكريمة تدل على مسؤولية الآباء في توجيه أبنائهم وتعليمهم الطريق الصحيح.

الحوار المفتوح مع الأطفال:

إن الحوار مع الأطفال يبني جسور الثقة بين أفراد الأسرة، فيجب على الآباء أن يستمعوا لأطفالهم بإنصاتٍ واحترامٍ، مما يساعدهم على التعبير عن أنفسهم بحرية دون خوف، وفي القرآن الكريم نجد نماذج للحوار البنّاء بين الآباء والأبناء، وخير مثال لذلك حوار سيدنا يعقوب مع أبنائه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧]، هذا الحوار يُظهر أهمية الاستماع للأبناء وتقديم النصح والتوجيه لهم.

تشجيع الطفل على الاندماج مع مجتمعه:

لا يقتصر دور الأسرة على تنشئة الطفل داخل المنزل فحسب، بل يمتد إلى مساعدته على الاندماج مع المجتمع وتكوين علاقات إيجابية، وقد حثَّ الإسلام على التعاون والاندماج، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[المائدة: ٢]، فتشجيع الطفل على التعاون واحترام الآخرين يُفتح أمامه آفاقًا أوسع في حياته المستقبلية.

تُعد الأسرة هي المدرسة الأولى للطفل، وبقدر اهتمامها بتنشئته ورعايته سيكون مستقبله مشرقًا ومليئًا بالإنجازات، فتربية الأطفال مسؤولية عظيمة، وثمارها لا تقتصر على الأسرة فحسب، بل تمتد لتؤثر في بناء مجتمع كامل، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١].

١- محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ١/ ٧٨١.

الهواتف الذكية ومخاطرها على الأطفال

في العقديـــن الأخرين ظهرت أمراضٌ ما كنّا نســـمع بهـــا من قبل منها مـــا يتعلق بالجوانب الفكريـــة والأعصاب، ومنهـــا ما يتعلّـــق بالعينين وحتى عـــلى الصعيد الســـلوكي والنمو و التطـــور الذاتي، فقـــد ازدادت الحالات المرضية عند الأطفال والمشـــكلات التـــي بدأت تظهر في عيـــون الأطفـــال كالحول وغيرها مـــن الأمراض التي تـــلازم الكثير منهـــم في أيامنا هذه، فنجد بعض الأمّهـــات و للتخلص من ضوضاء و مشـــاغبة طفلها تعطيـــه (الهاتف الذكي) أو (الآي بـــاد) ليقضي وقته بـــه، و يقلل من صخبه في البيت، ولكن تنســـى الأم أو تتناســـى بأنّ هذا الهاتف سيســـبب الكثير مـــن الأمراض والتداعيـــات الصحية لابنها مـــن حيث تعلم أو لا تعلم، و هذه الســـطور موجهـــة إلى الآباء والأمهـــات عليكم أن تنتبهـــوا مازالت الفرصة مؤاتيـــه والوقـــت لم ينفـــذ، أن تراقبوا أبناءكـــم و تحددوا أوقاتاً مناســـبة و بدقائـــق معدودة لأطفالكـــم للنظر إلى بعض البرامج المناســـبة مع عمرهـــم و أن تكون ترفيهيـــة أو تعليمية، لا أن يشـــغل كلَّ وقته أمام هذه الشاشـــات التي ســـتأخذ صحته و راحته.

ويقـــول الدكتور محمـــد عطا حنـــدوس رحال من المتخصـــصين في طب الأطفـــال: "إنه يمكـــن أن يكون للوقـــت الذي يقضيـــه الأطفـــال على الشاشـــات تأثير ســـلبي على نمو أدمغتهم [1].

ويضيـــف أنه يمكـــن أن يؤثر قضـــاء وقت طويـــل أمام الشاشـــة على مهـــارات القراءة والكتابـــة، مثـــل التخيل والتحكـــم العقـــلي والتنظيم الذاتي، ممـــا يـــؤدي إلى تباطؤ السرعة الإدراكية، كـــما يمكن أن يؤثـــر ذلك عـــلى التفاعل الهادف مـــع العائلـــة والمعلمين".

ويوضح رحـــال: "أن الأطفال يتعلمون من بيئتهم، وأن اشـــتغالهم بالشاشـــة لا يســـمح بمثل هـــذا الإبداع".

وينصح الدكتـــور رحال باعتماد ما يعـــرف بقاعدة "٢٠-٢٠-٢٠"، ويـــشرح ذلك بالقول "كل ٢٠ دقيقة، توقـــف لمدة ٢٠ ثانية، وانظر لمســـافة ٢٠ قدما".

أضـــف إلى ذلك، يرتبـــط قضاء الوقت المفـــرط أمام الشاشـــات الرقمية أيضـــا بمتلازمة جفـــاف العين، وإجهـــاد العين الرقمي، كـــما يمكن أن يســـبب آلاماً في الـــرأس والرقبة.

١- موقع العالم سوريا.

شؤون دولية

- جريمة التشهير في قانون العقوبات العراقي النـص والجـــزاء

م.م. أزهار فائق الزبيدي
جامعة الكوفة/كلية الآداب

- دور المقاومة الفلسطينية المسلحة في أعلان دولة فلسطين

د. غفران محمد صيهود
جامعة الكوفة / كلية الاداب

جريمة التشهير في قانون العقوبات العراقي
النص والجزاء

م.م. أزهار فائق الزبيدي
جامعة الكوفة/كلية الآداب

جريمة التشهير (مثل قيام الأستاذ الجامعي للمنافسة غير المشروعة عن المناصب الإدارية غير الدائمة بالتشهير بالأستاذ الاخر) في قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩م المعدل النافذ)

إن جريمة التشهير من الجرائم التي نصّ عليها المشرع العراقي ونظم احكامها في قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩م المعدل النافذ، حيث إن حق الفرد في حماية سمعته وشرفه وكرامته من الحقوق القانونية للفرد وملتصقة بها وتتفرع عنها، بغض النظر عن مكانة الفرد الاجتماعية في المجتمع، إن سمعته وشرفه وكرامته واعتباره له أهميةٌ وحمايةٌ لا تقل عن حقوقه الأخرى (كحقه في الاسم وحقه في النسب وحقه في العمل وحقه في العيش حياة كريمة ووو).

لذا نجد أن الدستور والقانون احاطها بالحماية القانونية، إن المساس بهذا الحق بأية صورة من صور الاعتداء غير المشروع يمثل جريمة يعاقب عليها قانون العقوبات العراقي.

لذا نتطرق في هذا المقال الى:

١- المواد القانونية التي نصّت على جريمة التشهير واركانها.

٢- نصّ المادة (٣٨) من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥م الدائم النافذ.

ذلك وفق الاتي:

أولا: أن قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩م المعدل النافذ، عالج في الفصل الرابع منه عقوبة التشهير تحت مسمى (القذف)، حيث نصت المادة (٤٣٣/ ١-٢) منه على أنَّ: "القذف: اسناد واقعة معينة الى الغير بإحدى طرق العلانية، من شانها لو صحت أن توجب عقاب من أسندت اليه، او احتقاره عند اهل وطنه، ويعاقب من قذف غيره بالحبس وبالغرامة او بإحدى هاتين العقوبتين، واذا وقع القذف بطريق النشر في الصحف او المطبوعات او بإحدى طرق الاعلام الأخرى، عُد ذلك ظرفا مشددا، ٢- ولا يقبل من القاذف إقامة الدليل على ما اسنده الا اذا كان القذف موجها الى موظف او مكلف بخدمة عامة او الى شخص ذي صفة نيابية عامة او كان يتولى اعمال يتعلق بمصالح الجمهور، وكان ما اسنده القاذف متصلاً بوظيفة المقذوف أو عمله، فإذا أقام الدليل

على ما اسنده انتفت الجريمة).

يفهم من هذا النص أن المشرع العراقي لم يتطرق الى لفظ التشهير وإنما اكتفى بالقذف، حيث عرف بأنه: اسناد واقعة معينة الى الغير بإحدى طرق العلانية، من شائنها لو صحت تلك الواقعة واقام القاذف الدليل على وجودها، توجب عقاب من أسندت اليه أي المقذوف، وكذلك يترتب عليها، احتقاره عند اهل وطنه والمجتمع.

أما اذا كان الشخص المسندة اليه الواقعة موظفاً او مكلفاً بخدمة عامة وفقا لما نصت عليه الفقرة (٢) من المادة أعلاه، واقام القاذف الدليل على صحة وقع تلك الواقعة واسنادها الى المقذوف، فهنا تنتفي جريمة القذف (التشهير) وتجب عقوبة من اسندت اليه تطبيقا لأحكام قانون العقوبات العراقي موضوع المقال؛ لأن إقامة الدليل يُعد من أسباب اباحة الفعل.

ثانيا: إن الدستور العراقي الدائم النافذ لسنة ٢٠٠٥م، نص في المادة (٣٨) منه، على أنه: "تكفل الدولة بما لا يخل بالنظام العام والآداب العامة، أولا: حرية التعبير عن الرأي بكل الوسائل، ثانيا: حرية الصحافة والطباعة والإعلان والإعلام والنشر..."، من خلال هذا النص يفهم أن تطبيق الحرية ومبادئ الديمقراطية لا تعني المساس بحق الحياة الخاصة للفرد ومساس حق الخصوصية يعد من الجرائم التي عاقب عليها القانون وهو من الحقوق التي تتمتع بالحماية القانونية والدستورية والدولية، ولا يفهم أن هذه المادة سمحت باستخدام الحرية بالتشهير بالاخرين وتشويه سمعتهم وشرفهم وكرامتهم، وإن أي تشويه او تغيير للحقيقة وعدم نقل ونشر الصدق يُعَد تشهيرا بالاخرين وبالتالي يُعَد جريمة يعاقب عليها القانون.

كما لا بد أن نتطرق في هذا المقال الى اركان جريمة التشهير (القذف)، وفقا للقانون العراقي:

من اجل ان يُعد التشهير جريمة يعاقب عليها القانون ، لابد من أن تتوافر فيه اركان الجريمة المنصوص عليها في المادة (٤٣٣) التي عالجت جريمة القذف، وهي:

١- أن تسند واقعة معينة الى الغير، أي أن يسند القاذف الى المقذوف واقعة معينة، مثل (أنه شخص مختلس، أو مرتشٍ، أو يكون علاقات مشبوه، أو مزور، أو غير نزيه، أو يستغل منصبه لابتزاز الطلبة والطالبات...).

٢- أن يكون اسناد تلك الواقعة بإحدى طرق العلانية، مثلا (يكون القذف او التشهير عن طريق المواقع الإلكترونية او الصحف والمجلات او عن طريق احدى وسائل الاعلام من خلال لقاء تلفزيوني او حوار إذاعي اعلامي).

٣- لا بد من توافر الركن المعنوي للجريمة بعد تحقق الركن المادي، وهو القصد الجرمي او القصد الجنائي، أي أنْ يكون القاذف على علمٍ ودرايةٍ بأن قيامه بهذا الفعل يشكل جريمةً يعاقبً عليها القانون، وهو توفر الركن المعنوي للجريمة، خلاف ما تقدم أي اذا انتفى احد اركان الجريمة، هنا ينتفي وصف التجريم للفعل ولا نكون امام جريمة يعاقب عليها القانون.

٤- الجزاء: لكي يُعد الفعل جريمة، لابد من وجود نص يجرمه ويحدد عقوبة تناسبه، حيث نجد أنّ المشرع العراقي، نص على احكام جريمة القذف (التشهير) في الباب الرابع من قانون العقوبات

العراقي موضوع المقال في المادة (٤٣٣/ ١-٢)، كما نجد أن المشرع العراقي عد جريمة التشهير من جرائم الجنح، التي يعاقب عليها بالحبس او بالغرامة، كما أن المشرع لم يحدد مدة الحبس بمدة مقيدة وإنما جعلها مطلقة، أي تكون مدة الحبس (من يوم الى خمس سنوات)، أو بالغرامة التي حددها على أن لا تقل عن (٢٠١) مئتان وواحد الف دينار عراقي، ولا تزيد عن (١٠٠٠٫٠٠٠) مليون دينار عراقي.

هذا ولا بد من الإشارة الى أن وقوع جريمة التشهير بإحدى طرق العلانية، يجعلها ظرفاً مشدداً للفعل، اما اذا لم تقع بإحدى طرق العلانية عُد ذلك ظرفاً مخففاً للجريمة، وهذا ما نصت عليه المادة (٤٣٥) من قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩م المعدل النافذ(١).

ختاما لما سبق، نشير الى أن جريمة التشهير من الجرائم الخطرة التي نرى من الأهمية تعديل نص عقوبتها والنص على عقوبة اشد؛ خاصة اذا كان لتحقيق أغراض دنيئة، وارضاء وتحقيق مصالح شخصية بعيدة عن الحقيقة والواقع، وكانت صادرة من شخص له عداء شخصي تجاه المقذوف، ومعروفٌ عنه أنه ينافسه ويحقد عليه بسبب الانانية او نقص الشخصية أو ضعف النفوس... لذا لابد من ان تكون عقوبتها اشد سواء بالحبس الأشد او بغرامة مالية اكثر، هذا في الجانب الجنائي، اما في الجانب الإداري، فلا بد للجهات العليا من التوجه الى تشكيل اللجان التحقيقية التي لا بد من ان توصي بمعاقبة القاذف بأشد العقوبات المنصوص عليها في الفصل الثالث من قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١م المعدل؛ لردعه ولتعريفهِ بخطورة ما اقدم عليه من فعل، وكذلك ليعرف قيمة المهنة المكلف بها وهي التدريس، فكيف يامن المجتمع على الأجيال التي يقوم بتدريسها مثل هكذا اشخاص، يستغلون الوظيفة والمناصب لابتزاز الغير لغرض الوصول لتحقيق أهدافهم ومصالحهم الشخصية الدنيئة.

كما ويجب على الاعلام بكل وسائله التقليدية والحديثة أن يقوم بتثقيف وتوعية الجمهور عن طرق استخدام وسائل الاعلام، من خلال البرامج الحوارية الثقافية او من خلال النشر بالصحف والمجلات او من خلا مواقع التوصل الاجتماعي، للتنبيه على خطورة الاقدام على مثل هذه الأفعال التي اذا توافرت فيها اركان الفعل الجرمي الذي نص عليه القانون، عُدت جريمة يعاقب عليها القانون جنائيا وإداريا، لما تشكله هذه الجريمة من خطورة تمس سمعة وشرف وكرامة المقذوف او المسندة اله الواقعة.

- دستور العراق الدائم النافذ لسنة ٢٠٠٥م.
- قانون العقوبات العراقي رقم (١١١) لسنة ١٩٦٩م المعدل.
- قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم (١٤) لسنة ١٩٩١م المعدل.

١- نص المادة (٤٣٥): "اذا وقع القذف او السب في مواجهة المجنى عليه من غير علانية او في حديث تلفوني معه او في مكتوب بعث به اليه او ابلغه ذلك بواسطة اخرى فتكون العقوبة الحبس مدة لا تزيد عن ستة اشهر وبغرامة لا تزيد عن خمسين دينارا او بإحدى هاتين العقوبتين".

دور المقاومة الفلسطينية المسلحة في أعلان دولة فلسطين

بدأت المقاومة المسلحة منذ الاحتلال الصهيوني ولا تزال عنصراً محورياً في تطور القضية الفلسطينية، خاصة فيما يتعلق بإعلان دولة فلسطين وتحقيق استقلالها، ولم تقتصر على الجوانب العسكرية فحسب، بل شكلت أيضاً حافزاً سياسياً واجتماعياً للعديد من الفصائل الفلسطينية والشعوب العربية، وجزءاً من استراتيجية وطنية هدفها التحرير الكامل للإراضي الفلسطينية.

د. غفران محمد صيهود
جامعة الكوفة / كلية الاداب

ساهمت المقاومة في تحريك المجتمع الدولي نحو الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم، على الرغم من التعقيدات والضغوط الخارجية التي وقع فيها الشعب الفلسطيني ليكون ضحية فكرة عنصرية صهيونية تسعى لاغتصاب أرضه عبر مزاعم ومفاهيم دينية توراتية وسياسية، وفقاً لمؤامرة دولية تستهدف تقسيم المنطقة العربية وإخضاعها عبر التفتيت وتعزيز قوة الاحتلال الإسرائيلي للتدخل في شؤون المنطقة بشكلٍ مستمرٍ، ولم يكن الشعب الفلسطيني وحده المعني بهذا الصراع في مواجهة المشروع الصهيوني الذي يستهدف المنطقة العربية والإسلامية منذ نهاية القرن التاسع عشر الى وقتنا الحاضر، ولذا كانت المقاومة الفلسطينية المسلحة هي الخيار الاستراتيجي للشعب الفلسطيني والرد المناسب على جريمة الاحتلال وأغتصاب الحقوق الفلسطينية والقيام بالعمليات الارهابية، وكانت بدايات المقاومة قديمة منذ بداية الاحتلال وليس كما يزعم بعض السياسيين حينما يؤرخون لبداياتها بعد هذا التاريخ بعقود، تبعاً لمتغيرات سياسية سادة في حقبة معينة، ولم تنشأ المقاومة الفلسطينية من فراغ وإنما هي بالأساس ردٌّ فعلٍ طبيعيٍّ وشرعيٍّ على جريمة الاحتلال، وتأخذ مشروعيتها وحقها في الاستمرار مع استمرار جريمة الاحتلال ذاتها، وحق مشروع تكفله الشرائع السماوية تماماً مثلما يكفلها القانون الدولي والمواثيق الإنسانية، ظلت المقاومة الفلسطينية أو بالتعبير الدارج ((فلسطين الكفاح المسلح)) طريقاً وحيداً لاسترداد الأرض والحقوق، ومما لا شك فيه

أنها حقَّقت كسباً كبيراً من خلال انخراطها في الانتفاضة الأولى ١٩٨٧ والثانية ٢٠٠٠ والانتفاضة الفلسطينية الثالثة أو انتفاضة القدس وكذلك سُميت انتفاضة السكاكين(٢٠١٥-٢٠١٦)، وفي فجر يوم السبت ٧ تشرين الأول ٢٠٢٣ بدأت انتفاضة الطوفان الاقصى بشن المقاومة الفلسطينية عملياتها العسكرية في قطاع غزة على إسرائيل شملت هجوما برياً وبحرياً وجوياً وتسللاً للمقاومين إلى عدة مستوطنات في غلاف غزة وأعلن عن العملية محمد الضيف قائد الأركان في كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، واعتُبرت أكبر هجوم على إسرائيل منذ عقود[١].

دور المقاومة أعلان دولة فلسطين:

تعرف المقاومة الفلسطينية بانها الحراك والسياسات والدعوات والعمليات التي تدعو أو تدعم مقاومة الاحتلال والاضطهاد والاستعمار الصهيوني للفلسطينيين والأرض الفلسطينية وتسعى لرفعه، يستخدم المصطلح لوصف تحركات فلسطينية متنوعة تتراوح بين المقاومة المدنية الشعبية والمسلحة، فبدأت تظهر فصائل فلسطينية ذات طابع سياسي عسكري تستخدم مصطلح الكفاح المسلح للإشارة إلى أشكال المقاومة الفلسطينية المسلحة على مستوى دولي، واستخدم المصطلح في الخطاب الفلسطيني من قبل منظمة التحرير الفلسطينية وأصبح جزء من هوية الفصائل الفلسطينية بعد أعلان دولة فلسطين ١٩٨٧ ودخول حركة حماس في العملية السياسية بجناحيها العسكري والسياسي[٢].

لم يكن إصدار الحكومة البريطانية وعد بلفور (٢/ ١١/ ١٩١٧) بمنح وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وقبل أن تتمكن من فرض سيطرتها على أجزاء يسيرة من أرض فلسطين، حيث يمكن رصد بدايات المقاومة الفلسطينية قبل الاحتلالين المشار إليهما، ذات ارتباط بجهود المستعمرين والصهاينة المبكرة لتعزيز الاستيطان اليهودي في فلسطين أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بيد أن المقاومة وقتذاك كانت عفويةً غير منظمةٍ وغير منسقةٍ، تغلب عليها أعمال الاحتجاج والاحتكاكات الجزئية، ولعلَّ ثورة البراق ١٩٢٩ شكَّلت ذروة الرفض الفلسطيني للوجود اليهودي، مع بداية الثلاثينيات بدأت عمليات الكفاح المسلح والمقاومة منذ قيام عز الدين القسام بعمليات التجنيد والتدريب للفدائيين وكان فاتحة بلورة العمل الجهادي المنظم والأكثر تأطيراً فبرزت الصبغة الإسلامية في عمل المقاومة من حيث الشعار ونوعية الأداء والصورة، أو من حيث المشاركة الفصائلية، الثورة الفلسطينية القسام والثورة الكبرى لتأخذ الأمور بعد ذلك تطورها صعوداً وهبوطاً، وصولاً إلى الوقت الراهن ويمكن تقسيم الفترة الممتد ة بين عامي ١٩٣٣ و ٢٠٠٦ إلى ثلاث مراحل رئيسة لكل منها سماتها وظروفها وتفصيلاتها(٣).

المرحلة الأولى: تمتد بين عامي١٩٣٣ - ١٩٦٥ تمتاز هذه المرحلة بأنها مرحلة البدايات وبوجود المقاومة بصورة رئيسة على الأرض الفلسطينية ومزجها بين الأداء الشعبي والأداء التنظيمي غير المتطور، والذي أخذ في بعض المراحل

شكلا رسميا، مع قلة الإمكانات وقلة الخبرة والافتقار إلى شمولية الفعل جغرافياً، وعدم تبلور الأهداف بصورة واضحة ودقيقة وتشتمل هذه المرحلة ثورة القسام ١٩٣٥والثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ - ١٩٣٩، والمشاركة الفلسطينية في حرب ١٩٤٧ - ١٩٤٨، وجيش الإنقاذ و العمليات الفدائية بعد هزيمة الجيوش العربية وتنفيذ عمليات مقاومة[٤].

المرحلة الثانية: تمتد بين عامي١٩٦٥- ١٩٨٧وهي المرحلة التي شهدتما يسمى بالانطلاقة المعاصرة للثورة الفلسطينية، وولادة عدد من الفصائل الفلسطينية المقاتلة (فتح، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية، الصاعقة، وغيرها)، التي هيمنت لاحقا على منظمة التحرير الفلسطينية وقيادة العمل الوطني الفلسطيني، وكانت أغلب هذه المنظمات تأسس قبل احتلال ١٩٦٧ هو تحرير كامل التراب الفلسطيني واعتبار الكفاح المسلح الطريق الوحيد للتحرير، فقد انتهت إلى ماعرف لاحقاً بالبرنامج المرحلي لمنظمة التحرير وصولاً إلى توقيع اتفاقات أوسلو وتشكيل السلطة الفلسطينية، ولعل هذه المرحلة شهدت تحولات في الأداء المقاوم وقفزات نوعية، وتقسم إلى ست محطات رئيسة:

١- **مرحلة البروز ١٩٦٥ - ١٩٦٧**: كانت بداية تشكيل للمجموعات الفدائية للفصائل الرئيسة في العمل الفلسطيني، والقيام بعدد من العمليات العسكرية.

٢- **مرحلة القواعد الارتكازية ١٩٦٧**: بعد احتلال الكيان الصهيوني لباقي الأراضي الفلسطينية في غزة والضفة، حيث عمدت فصائل المقاومة إلى تأسيس خلاياها السرية في المناطق المحتلة عام ١٩٦٧ وتفعيل عملياتها ضد الاحتلال انطلاقاً من داخل الأراضي المحتلة.

٣- **مرحلة الصراع العسكري١٩٦٨- ١٩٧٠**: بعد فشل تجربة القواعد الارتكازية وتنامي قدرة الاحتلال على ملاحقة ومحاصرة الخلايا الفدائية، انتقلت المقاومة لبناء قواعدها الثابتة في الضفة الشرقية (الأردن) والتحول إلى تنفيذ العمليات عبر الحدود.

٤- **المرحلة الانتقالية١٩٧١ - ١٩٧٣**: وهي المراجعات لخطة وأساليب العمل لإعادة النظر في استراتيجية حرب الشعب بعد تبلور اليأس من وجود الجبهة العربية المساندة، والتي يفترض أن تقف من وراء حرب العصابات والحرب الشعبية التي تخوضها المقاومة، خصوصاً وقد تأكد عجز النظام العربي، وحرصه على تغيير مسار العمل الفلسطيني المقاوم.

٥- **مرحلة النمو النظامي ١٩٧٤ - ١٩٨٢**: توجهت الإرادة باتجاه تكريس تشكيلات عسكرية نظامية إبان المرحلة اللبنانية من عمر العمل الفلسطيني.

٦- **مرحلة الضعف ١٩٨٢- ١٩٨٧**: أذ تراجع الأداء العسكري وتبعثرت القوات، وتراجعت فعالية وحضور منظمة التحرير الفلسطينية، وبدأت مرحلة عربية من التركيز على خطر جبهات طارئة مثل الحرب الاهلية اللبنانية والحرب العراقية الايرانية[٥].

المرحلة الثالثة: تمتد من العام ١٩٨٧ حتى يومنا هذا ويمكن تقسيمها إلى ثلاث محطات:

المحطة الأولى: الانتفاضة الفلسطينية الاولى (١٩٨٧ - ١٩٩٤)، التي عرفت بثورة المساجد

وثـــورة أطفـــال الحجـــارة، التي شـــكَّلت أهم محطات التحـــول في مســـار العمل الفلســـطيني المقـــاوم على أربعة مســـارات مهمـــة هي[٦]:

أ- بـــروز الصبغة الإســـلامية في عمل المقاومة مضمونـــاً من حيـــث الشـــعار ونوعيـــة الأداء والصورة، والمشـــاركة الفصائليـــة لحماس والجهاد الإســـلامي، وكان دخـــول حماس لهـــذا المعترك إضافة لمســـيرة العمل المقـــاوم وليس انكســـاراً لأدائـــه عبر إعـــادة تأهيـــل أكبر قـــوة للمقاومة الفاعلة،وســـلخها عن جوهر برنامجهـــا المقاوم في بداياتهـــا، ورغـــم أن حماس دخلـــت الانتخابات التشريعية تحت شـــعار(حماية خيـــار المقاومة) إلا أن التشـــكيك في إمكانيـــة المزاوجة بـــين العمل الســـياسي والاســـتمرار في المقاومة ظل هو الأمر السائد[٧]، إلى أن اســـتطاعت حركة حماس وبصورة ربما فاجـــأت المراقبين، أن تنجح في كســـب الرهان بكفـــاءة عاليـــة دون أن تنكـــسر بـــل أن تفرض شروطـــاً جديـــدة في اللعبة السياســـية وتحســـين شروط أداء المقاومـــة[٨].

ب- نقل ثقـــل العمل المقاوم مـــن الخارج إلى الداخل وبفعاليـــة متواترة، وأداء اســـتثنائي متميز فاجـــأ الاحتلال عـــلى أكثر من صعيد؛ ســـواء في نوعية الجيل الـــذي قاد المقاومة عمراً، ومســـتوى العمليـــات الفدائيـــة والقـــدرة على الاســـتشهار الإعلامـــي، وهـــو ما عبَّر عنـــه رئيـــس الوزراء الإسرائيـــلي بنيامـــين نتنياهو بانقـــلاب الصورة، حيـــث نجـــح الفلســـطينيون بتقديم أنفســـهم كضحايا يقاتلـــون بحجارتهـــم الصغيرة.

ج-إعـــادة المبادرة إلى الفعل الشـــعبي نســـاء، أطفـــال، رجال، مـــدن وقرى ومخيـــمات وتطوير أدوات العمـــل وتنويع أســـاليب المقاومة[٩].

المحطـــة الثانيـــة: انتفاضة الأقـــصى ٢٠٠٠ - ٢٠٠٤ :- التـــي يمكـــن اعتبارها بأنها اســـتئنافاً وامتـــداد المقاومة الفلســـطينية- للانتفاضة الأولى وإن كان بأســـاليب جديـــدة، أذ غلـــب على هذه الانتفاضـــة صعود العمـــل العســـكري وتطوير أدواته، وتراجع الأدوار الشـــعبية إلى مســـتويات أقل مما كانـــت في الانتفاضـــة الأولى، دون إغفال أن انتفاضـــة الأقصى جـــاءت بعد تعثـــر العملية السياســـية في كامـــب ديفيد ٢ عرفـــات - باراك أيلـــول/ ٢٠٠٠، وفي ظـــل وجود ســـلطة الحكم الذاتي الفلســـطيني في الضفة وغـــزة، وبعد إنجاز المقاومـــة اللبنانيـــة لتحرير الجنـــوب عبر ضغط الفعل العســـكري المقاوم، وليس عـــبر التفاوض والعمـــل الدبلوماسي[١٠].

المحطة الثالثـــة: مرحلة تثبيـــت حضور القوى الإســـلامية ســـواء في ســـاحة العمل المقاوم أو في الشارع الشـــعبي والمؤسســـات الرســـمية، التي كرَّســـت جملة مـــن الاعتبـــارات: أهمهـــا إعادة الاعتبـــار للخيار المقـــاوم بعد ما تـــم إهداره من قبل الســـلطة الرســـمية الفلســـطينية لسنوات، وتغليبهـــا الخيـــار التفـــاوضي، أو إمكانية الجمع بين العمـــل الســـياسي، والانخـــراط في المهمات القتالية[١١].

وفي الختام

إن المقاومة الفلســـطينية في شـــكلها الجديد هي مراحل تطـــور بالأداء والإمكانـــات يمكن رصده بعـــد الانتفاضـــة الأولى التي عـــبَّرت بمجموعها عن نقلات كبيرة في الأداء وامتـــلاك أدوات القتال البســـيطة بالحجـــر والمقلاع وعبـــوات المولوتوف وصـــولاً إلى اســـتخدام الســـكاكين في مرحلـــة لاحقة من عمـــر الانتفاضـــة الأولى وهي مرحلة

عـــبَّرت بوضوح عن شـــح الإمكانـــات وغزارة الإرادة المصممـــة عـــلى القتـــال لدى الشـــعب الفلســـطيني فيـــما مثلـــت المرحلـــة الثانية حرب العصابات أذ اســـتطاعت المقاومة أن تمتلك بعض قطع الســـلاح، وأن تنفـــذ عدداً مـــن العمليات الفدائيـــة ضد أهداف عســـكرية إسرائيليـــة ثابتة أو متحركة، وقد شـــكَّلت عمليـــات المجموعات التي يقودها الشـــهيد عـــماد عقـــل ذروة النجاح على هـــذا الصعيد بـــدأت في غـــزة وانتقلت إلى الضفـــة الغربيـــة واســـتطاعت المقاومـــة خلال هـــذه الحقبـــة مـــن أن تبنـــي خلاياهـــا الأمنية والعســـكرية، وأن تبدأ عمليات حثيثـــة من التزود بالقنابـــل والأســـلحة الخفيفة، و تطـــور قدراتها التدريبية والتخطيطية ووســـائل جمـــع المعلومات والرصـــد والتخفي، فانتقلت المقاومة الفلســـطينية المســـلحة في المرحلة الثالثة الى مرحلـــة العمليات الاستشـــهادية وتصنيـــع الأحزمة الناســـفة وهي المرحلـــة التي اســـتطاعت أن تنقل فعـــل المقاومة إلى مســـاحات أكثر تأثيرا، وأن تفـــرض نوعاً من توازن القلق السياسي- العســـكري مع الاحتلال، واستطاعت أن توازن ميزان الخســـائر بين الجانبين الفلســـطيني والإسرائيلي، وأن تنقل نسبة الشهداء الفلســـطينيين إلى القتلى الإسرائيليـــين من ١:١٠ في الانتفاضـــة الأولى؛ ليصبـــح ١:٣ في الانتفاضة الثانيـــة، ويدخـــل ضمـــن نطـــاق العمليـــات الاستشـــهادية التـــي تنوعت أشـــكالها بين الحزام الناسف والعبوات التشـــغيلية وتفخيخ السيارات وعمليـــات اقتحام المســـتوطنات والمعســـكرات الإسرائيليـــة، التي عبرت عن مســـتوى متقدم من الكفاءة والجـــرأة وتطور التخطيـــط والتدريب لد ى فصائل المقاومـــة، أما المرحلـــة الرابعة فكانت مرحلـــة الصواريخ وصراع الأدمغة أذ اســـتطاعت المقاومـــة امتـــلاك التصنيع العســـكري، وإن كان بوســـائل أولية غـــير متطورة، إلاَّ أنهـــا قفزت وفي وقتٍ قليـــل إلى مســـتوياتٍ مؤثرة، تهـــدد الأمن الاسرئيـــلي وخطر اســـتراتيجي مـــن الممكن أن تتحـــول إلى خطر وجودي، إذ اســـتطاعت المقاومة الفلســـطينية نقلهـــا إلى الضفـــة الغربيـــة بالعمق الاســـتراتيجي للدولـــة الإسرائيليـــة، وتهديـــد المنطقـــة الأكثـــر حيويـــة وضمن هـــذه المرحلة أبدعت المقاومـــة ما اصطلح على تســـميته بحرب الأنفـــاق، وهي التقنية التي أســـقطت نجاح الخطة الأمنيـــة الإسرائيلية القائمة على فكـــرة بناء الجدار العازل، لعـــل اســـتثمار الأنفاق لتفجـــير المراكز والأبراج العســـكرية الإسرائيلية حـــول قطاع غزة ســـدَّد ضربة قوية للوجود العســـكري الإسرائيلي هنـــاك، وبالتوازي مع كل هذه الجهود اســـتطاعت المقاومـــة الفلســـطينية أنْ تدخـــل إلى فلســـطين كميات كبيرة من الســـلاح، عبر الأنفـــاق في غزة أو عبر تجنيـــد العديد من الجهات لشراء الســـلاح وتهريبـــه، وتعزيـــز وســـائل الإمـــداد وتنويعها، كما اســـتطاعت أن تـــدرب عددا لتفجـــير المراكز والأبراج العســـكرية الإسرائيلية حـــول قطاع غزة ســـدَّد ضربة قوية للوجود العســـكري الإسرائيلي، فدور المقاومة الفلســـطينية المســـلحة كان ولا يزال أساســـياً في نضال الشـــعب الفلســـطيني من أجل الحرية والاســـتقلال على الرغم مـــن الانتقادات المتعلقة بأســـلوب الكفـــاح المســـلح، إلا أن هذا النضال كان حافزاً لإبراز القضية الفلســـطينية على الصعيديـــن الإقليمي والـــدولي، وأدى إلى إحداث

المخطط ادنـــاه يوضح اهم فصائل المقاومة المســـلحة في فلســـطين بالنســـب المئوية

تغيـــيرات سياســـية في المنطقـــة ســـواء في الأمم المتحدة أو على مســـتوى المحافـــل الدولية رغم أن إعـــلان دولة فلســـطين لا يزال قيـــد الانتظار، الا أنها ســـاهمت في عدة مجـــالات مهمـــة منها تحقيق الاعتراف الـــدولي مع تصاعد العمليات المســـلحة والمقاومـــة ضد الاحتـــلال، فأصبح العالم يشـــهد إصرار الشعب الفلســـطيني على مقاومة الاحتلال مـــا أدى إلى الضغط عـــلى الـــدول الغربية لإعادة النظر في مواقفها من القضية الفلســـطينية وفرضها على جـــدول الأعمال الـــدولي وكانـــت تثير ردود فعل دولية تـــؤدي إلى فرض عقوبـــات أو ضغوط على إسرائيـــل، وتوحيد الجهود الفلســـطينية رغم الانقســـامات الداخلية الا أنه ظل الكفاح المســـلح يشـــكل عاملًا موحـــدًا بـــين فصائـــل المقاومة المختلفـــة ومـــن بينها حركة فتـــح وحماس.

١. حـول طوفـان الاقـصى ٢٠٢٣ ينظـر : موقـع مركز دراسـات الـشرق الاوسـط ؛ موقـع مركز الدراسـات الفلسـطينية.
٢. ماهـر الشريـف، البحث عن كيان، دراسـة في الفكر السـياسي الفلسطيني ١٩٠٨-١٩٩٣، ص١٥٠-١٥٦.
٣. ماهر الشريف، البحث عن كيان، ص١٢٣-١٢٢.
٤. ماهر الشريف، البحث عن كيان، ص٣٠٣.
٥. فيصل حوراني، الفكر السـياسي الفلسـطيني ١٩٦٤-١٩٨٧، ص٢٢.
٦. يزيـد الصايـغ، الكفـاح المسـلح وتكويـن الدولة الفلسـطينية، ص١٠.
٧. سامي أبو زاهر، حماس الصعود والتحديات.
٨. فيصل حوراني، الفكر السـياسي الفلسـطيني ١٩٦٤-١٩٨٧، ص٣٠.
٩. يزيـد الصايـغ، الكفـاح المسـلح وتكويـن الدولة الفلسـطينية، ص٣١.
١٠. نـاصر الدين الشـاعر، الانتفاضة الفلسـطينية الثانية التحليل والنتائج ٢٠٠٥.
١١. طـارق الزمـر، الاسـلاميون والمقاومة الفلسـطينية من حركة حماس الى الجهاد الاسـلامي.

الشـرق والغـرب

- الالحاد.. الاعتقاد والتسويق الغربي

الباحث: حسين سعد الجمالي

الالحاد.. الاعتقاد والتسويق الغربي

الباحث: حسين سعد الجمالي

سوّق بعض الغربيين أفكار الالحاد الى شبابنا من خلال اثارة بعض الشبهات عن الدين

يتخوف الكثيرون من انتشار ظاهرة أو فكرة الالحاد عند بعض الشباب في مجتمعاتنا الاسلامية عموما ولاسيما المجتمع العراقي، ولكن بنظرةٍ فاحصةٍ ومتأملة لهذه الظاهرة وتحليلها عن بعد وبتجرد، وتفكيكها والبحث في ماهية الظاهرة أصلا! ولابد من البحث أولاً عن منشأ هذه الفكرة؟ ثم معرفة منظّري هذه الفكرة او الظاهرة؟ وماهي طبيعة المجتمع التي ظهرت فيه هذه الفكرة؟ وما هو رد فعل المجتمع آنذاك؟ ثم نأتي على مجتمعاتنا الاسلامية لنعرف مدى تأثير هذه الأفكار في مجتمعاتنا، ولماذا تأثر بها بعض الشباب؟ وهل الذين تأثروا بهذه الفكرة أو الظاهرة هم مؤمنون بها يقينا واعتقادا؟ أو هو مجرد ردّةٍ فعلٍ نتيجة اخفاقات وانكسار الأمة؟ ليتبين لنا بعد ذلك حقيقة الأمر.

وقبل هذا وذاك لنعرف ما معنى الالحاد:

الإلحاد: الميل، والعدول، الميل عن الدين، و انتهاك حرمة الحرم. وفي القرآن الكريم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾(الحج: ٢٥)، واللحد: الشق يكون في جانب القبر للميت، ألحاد، ولحود.

والملتحد: الملجأ، وفي القرآن الكريم: ﴿**قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا**﴾ (الجن: ٢٢).

و في اصطلاح الشرع: الإلحاد هو من مال عن الشرع القويم إلى جهة من جهات الكفر، فالإلحاد أوسع فرق الكفر حدّاً: أي هو أعم من الكل[1].

نشأت فكرة الإلحاد بصورته الجديدة في المجتمع الغربي مع مطلع القرن الماضي من خلال أفكار (فريدريك نيتشه..) وهو كاتب ألماني مصاب بالصرع توفي سنة ١٩٠٠، أعلن إلحاده وموقفه ضد الدين، ودعا إلى العنف والدكتاتورية، فتبنى أفكاره هتلر وموسليني ثم تبناه الشيوعيون والنازيون، ونشروا كتبه بعد موته بستة سنوات، وسموه فيلسوف القوة والإنسانية !

ونيتشه يدعو إلى الثورة على الدين والقيم، فهو ناقم على الدين؛ لأنه يقف أمام رغباته ونزواته، وكذلك كان ناقما على الدين نتيجة تصرف بعضٍ من رجاله، ولاسيما الذين يبرّرون للحكام ظلمهم؛ لذا كان يعجبه

كل من يهاجم الدين ورجاله، ويتجرأ على مقدساته [٢].

أما نيتشه نفسه فقد كان مصاباً بالصرع كما ذكرنا سابقا، وأصيب بمرضٍ جنسي أفقده القدرة على الزواج، وعاش متسكعاً بين ألمانيا وإيطاليا والنمسا، حتى أصيب بالجنون لمدة عشر سنوات أو أكثر، حتى مات !

وكتبوا عنه أنّه كان في صباه متديناً، وكان أهله يأملون فيه أنْ يكون قسيساً، لكنَّه سرعان ما تغير وسلك طريق الفساد الجنسي وأعلن (إني قتلت الله).

كان نيتشه مغرماً بالقوة والجرأة إلى التهور، وكان يكتب أفكاره الناقمة على كلِّ شيءٍ بعبارات قصيرةٍ غير منتظمة، كقوله (الله مات) و(إن المحرك للإنسان هو حب السيطرة) و(لا تدخل على المرأة إلا والسوط في يدك) ! ومع ذلك فإنَّ البعض قد تبنى كتبه بعد موته وسموه فيلسوفاً، وسموا هذره فلسفة القوة والإنسانية!

فلنتأمل قوله: "بدأتُ مغامراتي الفكرية، وفررتُ من الحيرة إلى الإلحاد، فازدادت حيرتي ! فإلى أين أتجه؟ أفلا يجدر بي أنْ أعود أدراجي إلى الإيمان، أو أنْ أوفّق لإيمان جديد [٣]؟!

وقوله: "أنا لا أريد أنْ أكون نوراً لأبناء هذا الزمان، بل أريد إيراثهم العمى ! وكل مولودٍ جديدٍ يأتي برجس إلى العالم ! فإياكم وممارسة الفضائل! ولنكن أعداءٌ فيما بيننا، وليحشد كُلٌّ منّا قواه ليحارب الآخرين! فخير السلام ما قَصُرت مدته ! وإنَّ من الخير أنْ تكون الأقذار كثيرة في هذا العالم! فلا معنى للوجود، والحكمة قاتلة)[٤]!

هكذا كانت افكاره وآراؤه فالتناقض فيها واضحٌ فهو مترددٌ حائَّر لا يستطيع انَّ يتخذ القرار.. ذو نفسية معقدةٍ ومريضةٍ.. ومع ذلك يصر البعض على اتباعه وتمجيده..، وهنا ينطبق المثل الطيور على أشكالها تقع!

ثم ظهر بعد ذلك تيار (الوجودية) وهو تيار فلسفي، يكفر أتباعه بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبيات وكل ما جاءت به الأديان، ويعتبرونها عوائق أمام الإنسان نحو المستقبل، وقد اتخذوا الإلحاد مبدأً ووصلوا إلى ما يتبع ذلك من نتائج مدمرة، ومن أشهر زعماء هذا التيار "جان بول سارتر" الفرنسيّ المولود سنة ١٩٥٥ م، وهو ملحدٌ ويناصر الصهيونية، وانتشرت أفكار هذا التيار بين المراهقين والمراهقات في فرنسا وألمانيا والسويد والنمسا وإنجلترا وأمريكا وغيرها، حيث أدَّت إلى الفوضى الخلقية والإباحية الجنسية واللامبالاة بالأعراف الاجتماعية والأديان.

ويضاف إلى ذلك (الفرويدية) وهي مدرسة في التحليل النفسي، أسسها اليهودي (سيجموند فرويد) وهي تفسر السلوك الإنساني تفسيراً جنسياً، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء، كما أنَّها تعتبر القيم

والعقائـد حواجـز وعوائـق تقـف أمـام الإشـباع الجنـسي، ممـا يـورث الإنسـان عقـداً وأمراضـا نفسـية، ولم تـرد في كتـب وتحليـلات فرويـد أيـة دعـوى صريحـة للانحـلال كـما يتبـادر إلى الذهـن، وإنـما كانـت هنـاك إيـماءات تحليليـة كثـيرة تتخلـل المفاهيـم الفرويديـة، تدعـو إلى ذلـك، وقـد اسـتفاد الإعـلام الغـربي ولاسـيما الصهيـوني مـن هـذه المفاهيـم لتقديمهـا عـلى نحـو يغـري النـاس بالتحلـل مـن القيـم وييـسر لهـم سـبله بعيـداً عـن تعذيـب الضمـير[٥].

وقـد رفـض عقـلاء المجتمـع الغـربي ومفكروهـم و أسـاتيذهم هـذه الفكـرة أصـلاً حتـى جـاء القانـون الجنائـي الـذي أصـدره الانجليـز ضـد الإلحـاد وفرضـوا فيـه عقوبـة المـوت حرقـا عـلى كلِّ ملحـد (حـرق الملحـد أو الزنديـق haeretico comburend)[٦].

والملاحظ من خلال السرد التاريخي لنشوء هذه الفكرة إنّها نمت وترعرعت بين المشوشين فكرياً والمتمردين والمرضى النفسيين؛ لأنّ الإيمان فطريٌّ موجودٌ عند كلِّ إنسان؛ لذا قال كريسي موريسون رئيس المجمع العلميّ في نيويورك: ((إنّ البشر لا يزالون في فجر عصر العلم وكلما ازداد ضياء العلم، سطوعاً جلا لنا شيئاً فشيئاً صنعه خالقٍ مبدع))[٧].

إنَّ الإسلام حريصٌ على أنْ يرشد الإنسان إلى تلك القوة المدبرة لهذا النظام و الإيمان بها؛ لأنّها المدبرة لكل شيء وسبب الأسباب، ويجعل الإيمان باللهَّ والوحدانية الركيزة التي تقوم عليها دعائم الاعتقاد بتوحيد الله، ورفض أيَّ اعتقادٍ آخر مبني على العقد النفسية والمجتمعية.

فالإلحاد معناه الضياع واللا انتماء الذي يجعل الإنسان تائهاً متحركاً تحركاً عشوائياً ينفعل بالعوامل من حوله ولا يؤثر فيها، كما أنّ الشرك والوثنية التي تجعل من غير المطلق مطلقاً «من غير الإله إلهاً» ومن الجهل علماً، ومن الفقر غنىً ومن العجز قدرةً، فسواءٌ كان هذا غير المطلق هو القبيلة أو الحزب أو العلم الذي شق لنا السيطرة على الطبيعة، إن استجبنا إلى المطالب فيتحول غير المطلق إلى إله يعبد، وحينئذٍ يكون سبباً في تطويق حركة الإنسان وتجميد قدراته على الابداع؛ وذلك بسبب أنّ هذا النسبي من القبيلة أو العلم ليس إلاّ حاجة يحتاجها البشر فان غالى بها وجعلها؛ هي الاله وهي غير غنيّةً وغير قادرة وغير عالمة وغير مسيطرة، فحينئذٍ تكون عائقاً للإنسان من هدايته إلى سواء السبيل والتقدم والإبداع والعدالة [٨]، لذا قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللهَّ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾[الاسراء:٢٦].

لذا نشاهد كل (من يحاول أنْ يعتقد بالإلحاد) أنه متمردٌ ويدعو إلى الثورة على كل شيء! وهم ناقمون على مجتمعهم ودولهم الراكدة في واقعٍ ظالمٍ متخلفٍ، فيعجبهم كلّ من يعلن النقمة على هذا الركود ! فاتخذوا من الإلحاد شعاراً لرفض هذا الواقع الفاسد الذي تعيشه الأمة الإسلامية على مستوياتها كافة ، فليس لهؤلاء المتأثرين بالإلحاد فكراً أو عقيدة بل إنهم رتبوا أولوياتهم على الآتي:

ـ التأثر بالغرب وتعظيمه.

ـ رفض الواقع والنقمة عليه.

ـ رفض الدين والنقمة عليه بسبب بعض الأفكار المتزمتة التي تحاول بعض الجهات الاسلامية المتزمتة فرضها داخل المجتمع.

ـ رفض الواقع السياسي.

لقد سوّق بعض الغربيين أفكار الالحاد الى شبابنا من خلال إثارة بعض الشبهات عن الدين، وكذلك عن طريق استغلال الاخطاء المتراكمة من قبل الحكام وبعض رجال الدين الذين أوصلوا الأمة إلى ماهي عليه من تشرذمٍ وتفككٍ وانهيار.

ولكن لابد من التفريق بين مصطلح الالحاد ومصطلح (اللاديني)، فالمصطلح الأخير يعني وجود فئةٍ شبابيةٍ تعيش حالة اغتراب نفسي ومجتمعي وتعبر عن استيائها من الوضع الجديد بوجود أحزابِ الإسلام السياسي التي تحكم البلاد وفشلت في إدارتها على مدى ما يقرب من عقدٍ ونصفاً فتهرب نحو مقاطعة التدين دون ان يوجد لديها أيُّ علمٍ أو درايةٍ بقضية الإلحاد والتي تحتاج إلى رؤيةٍ فلسفية ومنهج حياتي مغاير لما هو مطروح من حالة رفض مجتمعي نابع من ردّ فعلٍ تجاه ما يحصل في البلاد من فوضى وغيابٍ الخدمات وهيمنة سلطات متعدّدة مع ضياع الأمل بالتقدم والارتقاء بسبب تفشي الفساد وانتشار الرشوة والمحسوبية.

إنّ خيبات المواطن العربي وخذلان الأحزاب الإسلامية لناخبيها..(حلموا بحكومة إسلامية وبلاد غنية واكتشفوا انها خدعتهم وافقرتهم وقتلتهم في حروب طائفية) جاءت نتيجة الأسباب الآتية[٩]:

- فظاعة ما ارتكبته داعش والقاعدة من الجرائم اللاأخلاقية باسم الدين وتحت شعاراتٍ قرآنيةٍ ونبوية.

- استشراء الفساد الماليّ والاخلاقيّ.

- قيام اسلاميين يدّعون التدين بتفجيراتٍ إرهابيةٍ تقف خلفها منظمات تتاجر بالدين.

- الاستبداد الديني الخاضع لسلطةٍ سياسيةٍ تمنح لنفسها القدسية والحق فيما تفعل.

- دعوة رجال دين مسلمين إلى من يوجب عليك بحكم إسلامك أن تكره الآخر الذي يخالفك في الديانة.

وتنوّعت الأسباب الأخرى على النحو الآتي:

- ظهور أشياخ الغلو الذين بغّضوا الدين إلى الناس.

ويبقى نضال الاسلام المستمر ضد الإلحاد والشرك هو في حقيقته الحضارية نضالاً ضد المشكلتين بكامل بعديهما التاريخيين، وتلتقي المشكلتان في نقطةٍ واحدةٍ أساسية، وهي: إعاقة حركة الإنسان في تطوّره عن الاستمرار الخلّاق المبدع الصالح[١٠]، الفعال الذي يحاول النهوض بالأمة ولاسيما الشباب وانتشالهم من تلك الأفكار المريضة المطروحة في الساحة الى عالم المعرفة والنور، والسمو بالنفس الى ساحة الإسلام والإيمان الحقيقي كما أراده الله تعالى فهو الخير المطلق.

ومن الحلول الناجعة لمواجهة موجة الالحاد هو تجديد الخطاب الديني والفكري بما يتلاءم مع واقع الشباب، ويلبي أحلامهم وطموحاتهم، ومحاولة وضعهم على السكة الصحيحة فكريا، من خلال فهم الأسباب والمسببات، ومنظومة السنن الإلهية الكونية

والحضارية والتاريخية والاجتماعية التي تحكم هذا الوجود وما فيه، وتنظمه، بالإضافة إلى بيان الوجه الحضاري والإنساني للإسلام، وقدرة الإسلام على منافسة الفكر الغربي والثقافة الغربية، في الميدان الحضاري والفكري والإنساني، وقدرة الإسلام على استيعاب القيم المشتركة الإنسانية، والتعايش مع الآخرين، والبعد عن الغلو والتشدد والتطرف، ويتم ذلك من خلال مراجعة المشروع الإسلامي، والوقوف على ما فيه من إخفاقات، ووضع الحلول لها، إضافةً إلى ذلك لا بد من قيام المؤسسة الدينية بواجبها الشرعي والأخلاقي من خلال التواصل مع المجتمع ولاسيما الشباب وتوضيح كل الحقائق بشكل مباشر لا لبس فيه، ويمكن تلخيص ذلك في كيفية الرد على الملحدين من خلال منهج أهل البيت عليهم السلام وهو الاهتداء إلى الخالق (سبحانه) عن طريق التأمل في صفحات الكون، حيث هدفية كل خلقٍ، عبر التوازن الدقيق بين الأَجزاء، والترابط البديع بين الأَشياء، كالتوازن بين حياة النبات والحيوان، وكالترابط بين أعضاء جسم الإنسان.

وقد أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «أوّل العبر والأدلّة على الباري (جلّ قدسه) تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه، فإنّك إذا تأمّلت بفكرك وميّزته بعقلك وجدته كالبيت المبنيّ المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده، فالسّماءُ مرفوعةٌ كالسّقف، والأَرضُ ممدودةٌ كالبساط، والنجومُ مضيئةٌ كالمصابيح، والجواهرُ مخزونةٌ كالذخائر، وكلُّ شيءٍ فيه لشأنه مُعَدّ، والإِنسانُ كالمُملَّك ذلك البيت، والمُخَوَّل في جميع ما فيه، وضروب النبات مهيأة لمآربه...»[11].

١- سعدي ابو حبيب، القاموس الفقهي: ٣٢٩.
٢- الشيخ علي الكوراني، ثمار الافكار: ٦١.
٣- http: / / www. balagh. com / woman / trbiah / pz / ١٠٧ e ٦ htm w.
٤- المصدر السابق
٥- سعيد ايوب، ابتلاءات الامم: ٣٥٨.
٦- حارث سليمان الفاروقي، المعجم القانوني: ١/ ٣٢٧.
٧- هاشم معروف الحسني، تاريخ الفقه الجعفري: ١٦.
٨ - الشيخ حسن الجواهري، بحوث في الفقه المعاصر: ٣/ ٤٠١.
٩- د. قاسم حسين صالح، تنامي ظاهرة الإلحاد في العالم العربي.
١٠- السيد محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة: ٥٨٣
١١- المجلسي، بحارالأنوار: ٣/ ٤١ و ص٦٢.

نشوء التطرف في المفهوم الغربي

نجد مظاهر التطرف واضحة عند معتنقي الديانات اليهودية والمسيحية، واتسمت بوضوح أكبر في مدوّنات الفكر الغربي الصهيوني الذي يحثُّ على التطرف والعنصرية وحب الذات وتحقير الآخر والاستعلاء عليه، فقد جاء في أحد النصوص في التلمود من السفر اليهودي ما هذا نصه[1]:

(الخارج عن دين اليهود حيوانٌ على العموم فسمّهِ كلباً أو حماراً أو خنزيراً، والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان)، وقال الحاخام (ابار بانيل): (المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات، وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة الذين خُلقت الدنيا لأجلهم؛ لأنّه لا يناسب لأميرٍ أنْ يخدمه ليل نهار حيوان وعلى صورته الحيوانية).

وكذلك نشأ التطرف عند المسيحيين بعد ولادة النبي عيسى عليه السلام وقد غالوا فيه حتى وصفوه بالرب أو ابن الرب، وقد ظهر التطرف المسيحي بوضوح من خلال ممارستهم للعنف بشكلٍ كبيرٍ من خلال الحملة الأوربية العسكرية الكاثوليكية على القسطنطينية في بداية الحروب الصليبية حيث كان الانقسام بين الكنيسة الارثذوكسية والكنيسة الكاثوليكية عام ١٠٥٤م حيث أشار المؤرخ (ارنولد توينبي) إلى ذلك الوقت قائلا: (والمصيبة الكبرى حلت بالإمبراطورية الرومانية الشرقية في ١٢٠٤م فقد هوجمت القسطنطينية واحتلت مرتين من قبل قوة مشتركة من البنادقة الصليبيين الفرنسيين، في المرة الأولى قام المهاجمون بذلك لحساب مدّع للعرش الامبراطوري الشرقي، وفي الثانية كان العمل لحساب المهاجمين أنفسهم وكانت هذه هي المرة الأولى التي تمكن فيها الأعداء من مهاجمة القسطنطينية واحتلالها منذ نشأتها سنة ٣٣٣م وقد نهبت المدينة بوحشية)، وهذا العنف والتطرف الذي مارسه الأوربيون ضد الكنيسة الأرثذوكسية في القسطنطينية بلغ حداً لا يقبله منطق حيث استباح الاوربيون الصليبيون حرمات الكنائس، ومارسوا أشكالاً من الإرهاب والاستخدام غير المشروع للقوة، وصدرت منهم أفعال يندى لها الجبين، ولعل أبرز صور الإرهاب والتطرف الاوربي تمثلت في غزو القارة الامريكية وتبع الغزو حروب إبادة وتشريد لسكان البلاد الأصليين الهنود الحمر أدَّت إلى شبه انقراضهم، ورافق ذلك حملة استرقاق واسعة للشعوب الأفريقية، ومع كلّ هذه الحروب العنصرية والمذهبية المتطرفة في شتى بقاع العالم إلا أنّه عندما يُذكر الإرهاب و التطرف تذهب هذه الكلمة على المسلمين فقط، بينما ظاهرة التطرف والإرهاب ظاهرة عالمية، لا تنسب لدين، ولا تختص بقوم، وهو سلوك ناتج عن الغلو الذي لا يكاد يخلو منه مجتمع من المجتمعات المعاصرة الدينية وغير الدينية .

---

١. د. اسعد السحمراني، التطرف والمتطرفون: ٣٦-٥١.

ذاكرة الأُمم

■ النشاطات العامة داخل الحوزة العلمية في النجف الأشرف من خلال مجلة العدل النجفية ١٩٦٥-١٩٧١

د. تغريد جاسم
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

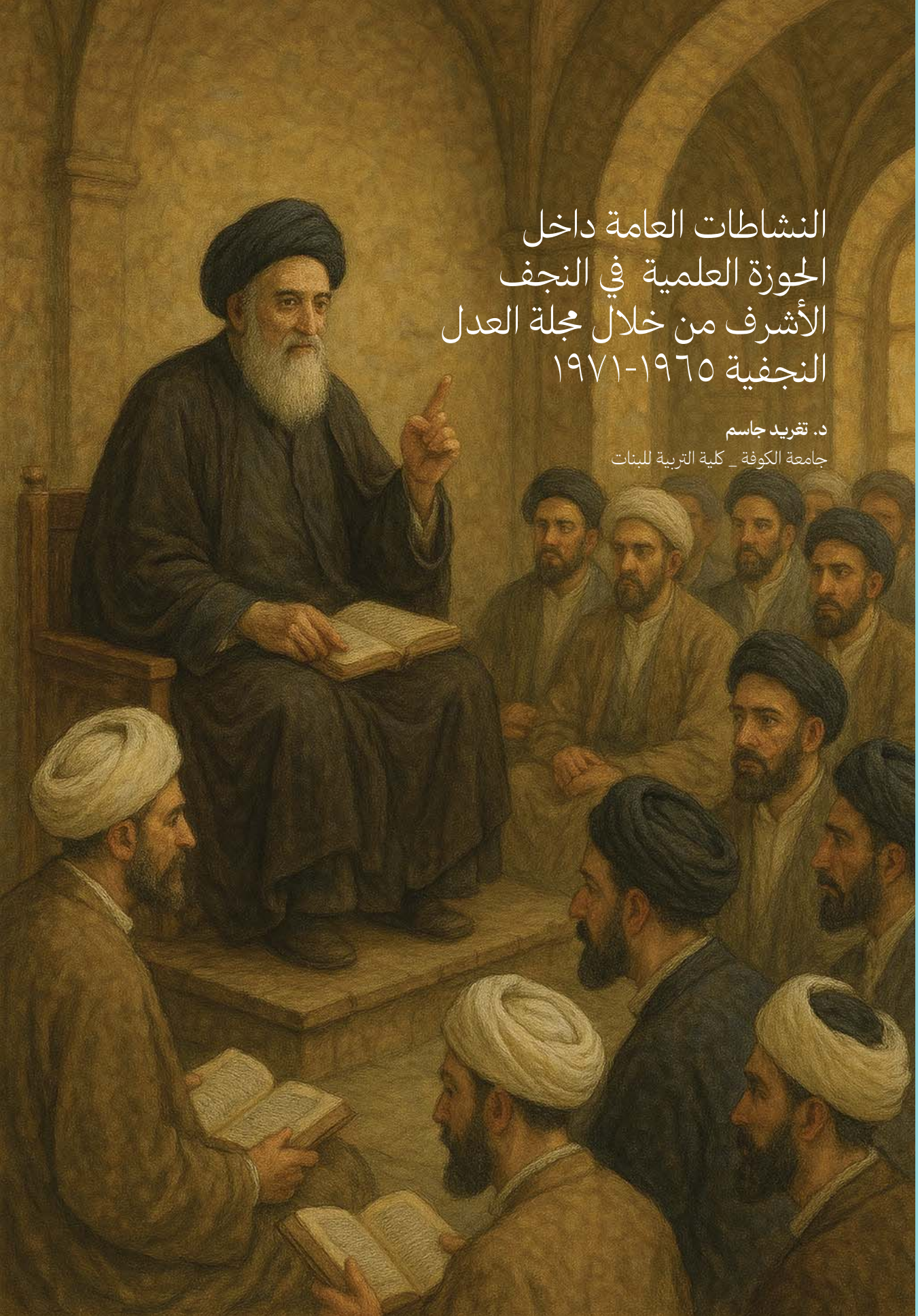

النشاطات العامة داخل الحوزة العلمية في النجف الأشرف من خلال مجلة العدل النجفية ١٩٦٥-١٩٧١

د. تغريد جاسم
جامعة الكوفة _ كلية التربية للبنات

تعد الحوزة الدينية في النجف الاشرف من أهم المؤسسات الدينية العلمية في العالم الإسلامي التي أدت أدوارًا محورية عظيمة في صياغة الفكر الإسلامي الشيعي وتوجيه مسار الأمة الإسلامية، فهي ليست مؤسسة تعليمية، بل هي قلب ديني وثقافي وعلمي حيوي ومهم يؤثر بشكلٍ كبيرٍ في العالم الإسلامي بشكلٍ عامٍ والشيعي بشكلٍ خاصٍ.

مجلة العدل:

لقد كانت مجلة "العدل" جزءًا من الصحافة النجفية لمدةٍ تاريخيةٍ امتدت من (١٩٦٥م -١٩٧١م) إذ كان لها تأثيرها فيما كتبته وفي اتجاهاتها الفكرية والعلمية، مما أثر في الحركة الثقافية لمدينة النجف الأشرف في مدة صدورها.

وقد كرّست مجلة "العدل" عددًا غير قليل من صفحاتها لنشر أخبار الحوزة الدينية في النجف الأشرف ومواقفها، كما حاولت تعريف قراءها بمعاني مقترنة بالمرجعية وهي: "الاجتهاد.. والمجتهد .. والتقليد"[١]، إذ حاولت بمقالها الذي حمل هذا العنوان، إبراز الدور الديني في تقويم المجتمع وبالتالي وجود رجل مسؤول "ينير درب التائهين"، ويتولى مهمة التوجيه والفتيا والتفسير، فمورست هذه المهمة منذ زمن الرسول محمدﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام، من بعده عندما كلّفهم رسول الله بهذه المهمة في خطبة الوداع قال:(إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدًا..)[٢].

بالإضافة إلى حاجة المسلمين الملحّة إلى التشريعات الجديدة المواكبة لتطورات الحياة والى من يقول رأيه فيما يحدث "يحلله ويحرمه" حسب كتاب الله وسنة رسوله، "العودة إلى عقله في حالة عدم وجود نص صريح بعينه في الفتوى، ليقول حكمه في ضوء الشريعة الإسلامية وهذا هو "الاجتهاد"، كما عرضت المجلة الشروط التي يجب أن تتوفر في المجتهد ووصفتها بالشروط "الدقيقة" فتقول في ذلك: يجب أن تتوفر في المجتهد شروط دقيقة، وإلا فقدَ صفةَ الاجتهاد، ويجب أن يكون ملمّاً بالقرآن وسنة رسول الله بالصغير والكبير وبأقوال أهل البيت عليهم السلام وحكمتهم، وآرائهم، وأفكارهم، كما يجب أن يتحلّى بالعدالة والتقوى والورع والحيطة الدقيقة، وهذه الشروط لم تقبل التعديل، والتبديل، والتبرير، منذ عرف الاجتهاد ووجب وستبقى كذلك إلى أن ينفذ الله أمره ويأمر مولانا الحجة بالظهور ليقوم بأعباء إمامته"[٣].

أخبار العلماء:

وفي مقال آخر بعنوان "الزعامة الدينية"[٤]، بينت المجلة دور "المرجعية" الكبير لدى الشيعة الإمامية، وأسباب إطاعة المقلدين للمجتهد الجامع للشرائط في المسائل الفقهية، وانقيادهم لفقهائهم إذ "أحلوهم محل الكرامة وأناطوا بهم أمر الحل والعقد وأوكلوا إليهم الأمر من قبل ومن بعد".

وحاولت المجلة قدر الإمكان الإحاطة بنشاطات علماء الدين ونشر الأخبار المتعلقة بشؤون المرجعية الدينية والحوزة العلمية في النجف الأشرف، إذ نشرت ما يتعلق برجال الدين وأعمالهم وسفراتهم وحتى ما يُلم بصحة البعض منهم وحالات الوفاة، وتماشيا مع سياستها هذه، نشرت خبر قيام السيد محسن الحكيم ببناء مدرسة باسم

"مدرسة الإمام الحكيم الكبرى"، كما ذكرت قيام بعض "الخيرين" ببناء دار للسيد محمد البغدادي[٥].

أما عن نقلها لسفرات رجال الدين، فنقلت خبر سفر السيد علي الشاهرودي، نجل السيد محمود الشاهرودي إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج[٦]. وقدوم السيد محمد كلانتر من سفرته خارج العراق[٧].

وتابعت "العدل" الأحوال الصحية لعلماء الدين وما يتعرضون له في هذا المجال وكانت تنشر ذلك ضمن إخبارها النصف شهرية، فقد نشرت لزوم الشيرازي لفراش المرض بسبب وعكة صحية ألَمَّت به[٨]، وسفر السيد محمد البغدادي إلى بغداد للعلاج، وإصابة عبد الكريم الزنجاني بوعكة صحية، ووجود الجزائري في الكاظمية المقدسة للعلاج[٩].

كما نشرت المجلة خبر وفاة الشيخ محسن الوائلي[١٠]، ووفاة الشيخ آغا بزرك الطهراني[١١]، ووفاة الشيخ محمد علي الزهيري عن عمر ناهز السبعين عاما قضاها في الوعظ والإرشاد، وعرضت المجلة مؤلفاته وهي "فلسفة الدين الإسلامي"، "والمهدي والمهدوية"، وكتاب "المرأة وشؤونها الاجتماعية"، وكتاب المصارف الإسلامية في المجالس الحسينية"[١٢] ونشرت خبر وفاة محمد جواد التبريزي الطباطبائي[١٣].

مصدر للباحثين:

ويمكن لنا القول إن "العدل" سارت بخطٍ مستقيم في خطابها الإعلامي الخاص بالحوزة العلميةً في النجف الأشرف، فقد حققت المجلة سوابق صحفية واهتمامًا بأحوال الحوزة الدينية في النجف الاشرف وأصبحت مصدرًا مهماً للباحثين لدراسة الواقع النجفي والأحداث الدينية والاجتماعية والثقافية.

---

١. (العدل)، العدد ١٣، السنة ٤، الاثنين ٨ جمادي الاخر ١٣٩٠هـ/ ١٠ آب ١٩٧٠م، ص٣.
٢. المصدر نفسه، ص٣.
٣. (العدل)، المصدر السابق، العدد ١٣، السنة ٤، الاثنين ٨ جمادي الثاني ١٣٩٠هـ/ ١٠ آب ١٩٧٠م،
٤. (العدل)، العدد ١٠، السنة ٤، الثلاثاء ١٨ ربيع الثاني، ١٣٩٠هـ/ ٢٣- ٦- ١٩٧٠م، ص ٢.
٥. المصدر نفسه، العدد ١٥، السنة ١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م، ص ٤٢
٦. المصدر نفسه، العدد ١٥، السنة ١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م، ص ٤٣.
٧. المصدر نفسه، العدد ٨، السنة ١، ١٨ جمادي الأول ى ١٣٨٥هـ/ ١٥ ايلول ١٩٦٥م، ص ٤٩.
٨. المصدر نفسه ، العددان (٩ و ١٠)، السنة ١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ٦٧.
٩. المصدر نفسه، العددان (١ و٢)، السنة ٢، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص ٦٩.
١٠. المصدر نفسه، العددان (٦و ٧)، السنة ١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ٥٨.
١١. المصدر نفسه، العدد ٥، السنة ٤، الاربعاء ١٩ ذي الحجة ١٣٨٩هـ/ ٢٥ شباط ١٩٦٩م، ص ٤؛ الهيتي ،احمد عبد الله، الشيخ آغا بزرك الطهراني فقيد العلم والادب والكفاح الوطني.
١٢. المصدر نفسه، العدد ٨، السنة ١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ص ٤٩.
١٣. المصدر نفسه، العدد ١٥، السنة ٢، ص ٣٨.

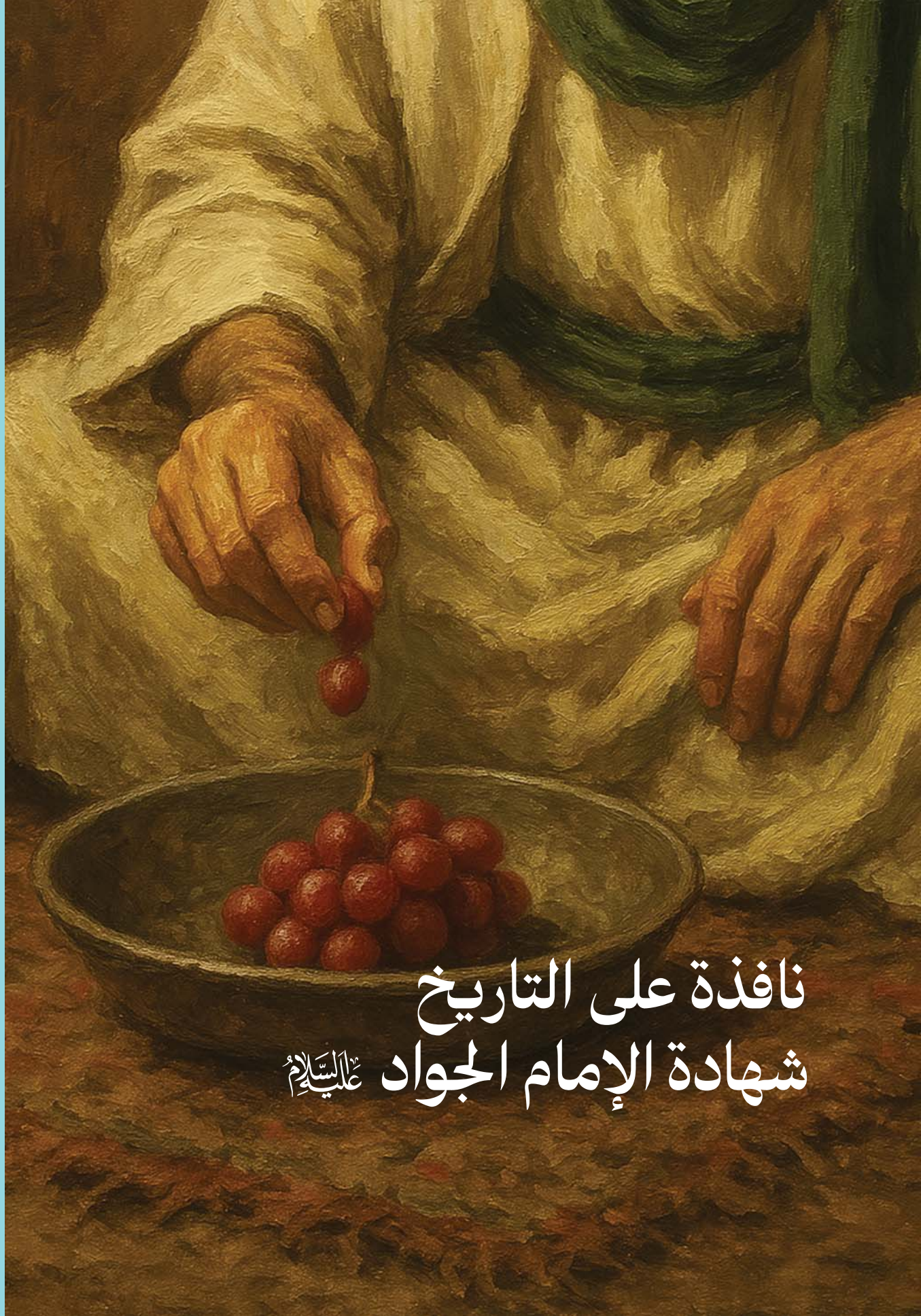

نافذة على التاريخ
شهادة الإمام الجواد عليه السلام

تاسع ائمة اهل البيت عليهم السلام تلألأت منه اشراقات الإمامة منذ صغره (سلام الله عليه) وكانت العلوم الإلهية تتدفق من بين يديه، فهو سليل الدوحة المحمدية المباركة، وقد نهل العلوم وورثها عن جدّه رسول الله، واحتوى كل شيء فكان جوابا لكل ما يحتار فيه اللب، وقد نوَّه إليه والده الإمام علي بن موسى الرضا في مناسباتٍ مختلفة بإنه إمام مفترض الطاعة لا مجال للحياد عنه، فعن معمر بن خلاد (سمعت الرضا ـ ذكر شيئاً ـ فقال: ما حاجتكم الى ذلك؟ هذا ابو جعفر قد اجسلته مجلسي وصيرته مكاني وإنا اهل بيت يتوارث اصاغرنا اكابرنا القذة بالقذة)[1].

وقد ولد عليه السلام في العاشر من شهر رجب سنة ١٩٥ هـ وقيل: في السابع عشر من شهر رمضان المبارك أو في النصف منه، تولى الإمامة في سن سبع سنين تقريبا، وكانت مدة إمامته سبع عشرة سنة، عاصر فيها من ملوك بني العباس: المأمون والمعتصم، وفي أول ملك المعتصم استشهد عن عمر بلغ خمسا وعشرين سنة وثمانية عشر يوما.

أبوه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، أمّا أُمُّه فهي أم ولد يقال لها: (سبيكة) أو(درة)، وقيل إنَّ الرضا عليه السلام سماها(خيزران)، وكانت نوبية الاصل.

أما في شأن الإمام الجواد عليه السلام فقد وردت الأحاديث والروايات الشريفة التي تشهد على الفضائل العظيمة والمناقب الكريمة له (سلام الله عليه) فقد امتاز هذا الإمام الهمام بميزة حمله تكاليف الإمامة وهو بعد لم يبلغ الحلم، وقد كان لهذه الحادثة في تلك المرحلة الحساسة من تاريخ المسلمين دورٌ كبيرٌ في بلورة حقيقة مقام الإمامة في عقيدة إتباع أهل البيت عليهم السلام، حيث برهن الإمام الجواد عليه السلام عمليا على أنَّ فرع الإمامة المقدس ما هو إلا امتداد لشجرة النبوة التي لا يشترط في أهلها قيودا متعارفة بين الناس كصغر السن أو ما شابه، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه واله: قوله: (.. من أحبَّ أنْ يلقى الله عز وجلَّ وقد رفعت درجاته وبدلت سيئاته حسنات فليتوال محمد بن علي الجواد..)[2] وروي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: (والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ذكرا يفرق بين الحق والباطل).

ومن كلمات الامام الجواد عليه السلام ، روي عنه انه قال: (من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمرٍ فرضيه كان كمن شهده).

وقال عليه السلام : (من أصغى إلى ناطقٍ فقد عبده، فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس) .

وقال عليه السلام : (تأخير التوبة اغترار، وطول التسويف حيرة، والاعتلال على الله هلكة، والإصرار على الذنب أمن لمكر الله، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون).

وقال عليه السلام : (إظهار الشيء قبل أنْ يستحكم مفسدة له) .

وقال عليه السلام : (المؤمن يحتاج إلى توفيقٍ من الله، وواعظ من نفسه، وقبولٍ ممن ينصحه)[3].

وقد ورد في التاريخ أنَّ شهادة الإمام الجواد عليه السلام كانت على يدي زوجته أم الفضل بنت المأمون، حيث اغتالته بتحريضٍ من المعتصم العباسي حينما علم أنّ فيها حقداً وانحرافاً عن الإمام عليه السلام ، فتعمّدت دسّ السُّم إليه في تسعة عشر حبةً من العنب، فلما أكلها بكت اللعينة، فقال عليه السلام لها: (مم بكاؤك؟ والله ليضربنك الله بفقرٍ لا ينجُبر وبلاءٍ لا ينستر، فبُليَتْ بعده بمرضٍ في أغمض المواضع من بدنها، وأنفقت عليه ملكها حتى احتاجت إلى رفد الناس)[4].

فلم ينفعها دواء ولا علاج حتى هلكت بمرضها هذا.

ثم إنَّ الإمام عليه السلام مكث والسم يجري في مفاصله حتى قبضه الله تعالى إليه مظلوما مهضوما في آخر شهر ذي القعدة سنة ٢٢٠ هـ، وقد روي أنَّ ابنه الإمام الهادي عليه السلام وقف على قبره وقال: (وا أبتاه وا محمداه.. آه وا وحدتاه، وا قلة ناصراه، وا انقطاع ظهراه، ليتني كنت لك الفدا يا أبتاه من بعدك، وا وحشتاه، فراقك قد أعمى عيني وهيج حزني وقطع نياط قلبي، يا أبتاه أقرئ آباءك عني السلام وأخبرهم بما نحن فيه من الهوان، يا أبتاه مضيت عنا ولم يطل لك العمر وتبلغ الكهولة في الحياة يا أبتاه)[5].

---

١. الإرشاد للمفيد: ٢/ ٢٦٦.
٢. بحار الأنوار: مج٢٧/ ١٠٨.
٣. تحف العقول: ٤٥٦
٤. مدينة المعاجز: ٧/ ٤٠٩.
٥. وفيات الائمة : ٣٤٣

تراث مكتبة الروضة

- العتبة العلوية المقدسة تصدر "الموسوعة التوثيقية الكبرى لفتوى الدفاع الكفائي" بـ (٨١) مجلدا

- مخطـــوط: تسليك النفـــــــس إلى حظيـــرة القـــــــدس

العتبة العلوية المقدسة تصدر "الموسوعة التوثيقية الكبرى لفتوى الدفاع الكفائي" بـ (٨١) مجلدًا

استذكارا للفتوى المباركة للدفاع الكفائي، أصدرت العتبة العلوية المقدسة "الموسوعة التوثيقية الكبرى لفتوى الدفاع الكفائي"، والتي تُعدُّ إنجازًا علميًّا وتوثيقيًّا ضخمًا يُخلّد ذكرى الفتوى التاريخية التي أطلقها المرجع الديني الأعلى سماحة السيد علي السيستاني (دام ظله) عام ٢٠١٤.

وقد بدأ العمل في هذه الموسوعة الضخمة في جمادى الآخرة ١٤٣٨ للهجرة، الموافق لشهر آذار ٢٠١٧م، وشارك في إعدادها ٧٥ شخصًا بالإضافة إلى كادر الطباعة، لتخرج للنور في ٨١ مجلّدًا ضخمًا.

حيث تناولت الموسوعة في مجلداتها المختلفة أهم الأحداث والشخصيات المرتبطة بالفتوى المباركة، حيث تم تخصيص ١٦ مجلّدًا لتناول دور المرجعية والحوزة العلمية، وشهدائها، ومبلّغيها، وما يتعلق بها، بينما تم توثيق دور العتبات المقدسة والمزارات والوقف الشيعي في تلبية نداء المرجعية في ٦ مجلّدات.

الموسوعة ركزت الضوء على دور المحافظات العراقية في تلبية نداء المرجعية في ١٤ مجلّدًا، وسلطت الضوء على الإنجازات العسكرية للقوات المسلحة والحشد الشعبي، ودور الأدباء في كتابة الشعر والقصص، وأيضا دور المرأة في أثناء الفتوى المباركة في ٥ مجلّدات.

ومن الأمور المهمة التي تم توثيقها هو توثيق ١٣٠٠ يوم من تاريخ العراق المعاصر، إذ خُصّص ٢٢ مجلّدًا لتوثيق أحداث العراق المهمة بشكل يومي من انطلاق الفتوى إلى إعلان النصر.

وكذلك بيّنت الموسوعة في ٦ مجلّدات الكتب المتعلّقة بالعصابات الإرهابية، ومنها: الإبادة الجماعية، وتأثير "داعش الإرهابي" على الاقتصاد العراقي، وتدميره للآثار العراقية، ومراحل تطوّر الحركات ا لتكفير ية .

وقد عرضت الموسوعة في ٨ مجلّدات نماذج من وسائل إعلام داعش الإرهابي، ووثائقه، ومنشوراته، وإصداراته، وأيضا تم تخصيص ٥ مجلّدات لوثائق لجنة الإرشاد.

واستغرقت كتابة هذه الموسوعة خمس سنوات، بينما استغرقت الطباعة أكثر من سنتين، وقد شارك في إعدادها ٩ باحثين رئيسيّين و ١٤ باحثًا مساهمًا.

وتُعدُّ هذه الموسوعة إضافة نوعية للمكتبة العراقية، ومصدرًا مهمًّا للباحثين والمؤرّخين والمهتمين بتوثيق تاريخ العراق الحديث وهي توثّق مرحلة مهمة من تاريخ الإنسان العراقي لتبقى خالدة في التاريخ وضمير الشعب العراقي.

الموسوعة ركزت الضوء على دور المحافظات العراقية في تلبية نداء المرجعية في ١٤ مجلّدًا، وسلطت الضوء على الإنجازات العسكرية للقوات المسلحة والحشد الشعبي، ودور الأدباء في كتابة الشعر والقصص، وأيضا دور المرأة في أثناء الفتوى المباركة في ٥ مجلّدات

مخطوط: تسليك النفس إلى حظيرة القدس

تأليف: العلاّمة الحلّي، الحسن بن يوسف(ت٧٢٦ هـ).

الناسخ: حسن بن علي بن إبراهيم المزيدي.

تاريخ النسخ: يوم الثلاثاء ١٦ شهر شوّال من سنة ٧٠٧ هـ.

أهمية النسخة:

نسخة نفيسة مصحّحة، كُتبت في حياة المؤلّف، قوبلت أكثر من مرّة؛ حيث إنّ بلاغات القراءة المثبّتة عليها بخطوط مختلفة، وبهذه العبارة: (بلغت قراءته أيّده الله)، والبلاغات كلّها قديمة وصرّح الشيخ آقا بزرك الطهراني (ره) في كتابه الذريعة ما نصّه: (وعلى هوامش النسخة خطوط العلاّمة ـ طاب ثراه)، وهي من وقفيّات ورثة السيّد جلال الدين عبد الله بن شرف شاه الحسيني على الخزانة الغرويّة، في ١٠ شهر شعبان من سنة ٨١٠ هـ.(فهرس الخزانة الغروية ، ص١٦٩)

يـراع العلمـاء

- الرّجعة في كلمات آية الله السَّيِّد جعفر مرتضى العامليّ

محمّد علي بردى/ لبنان

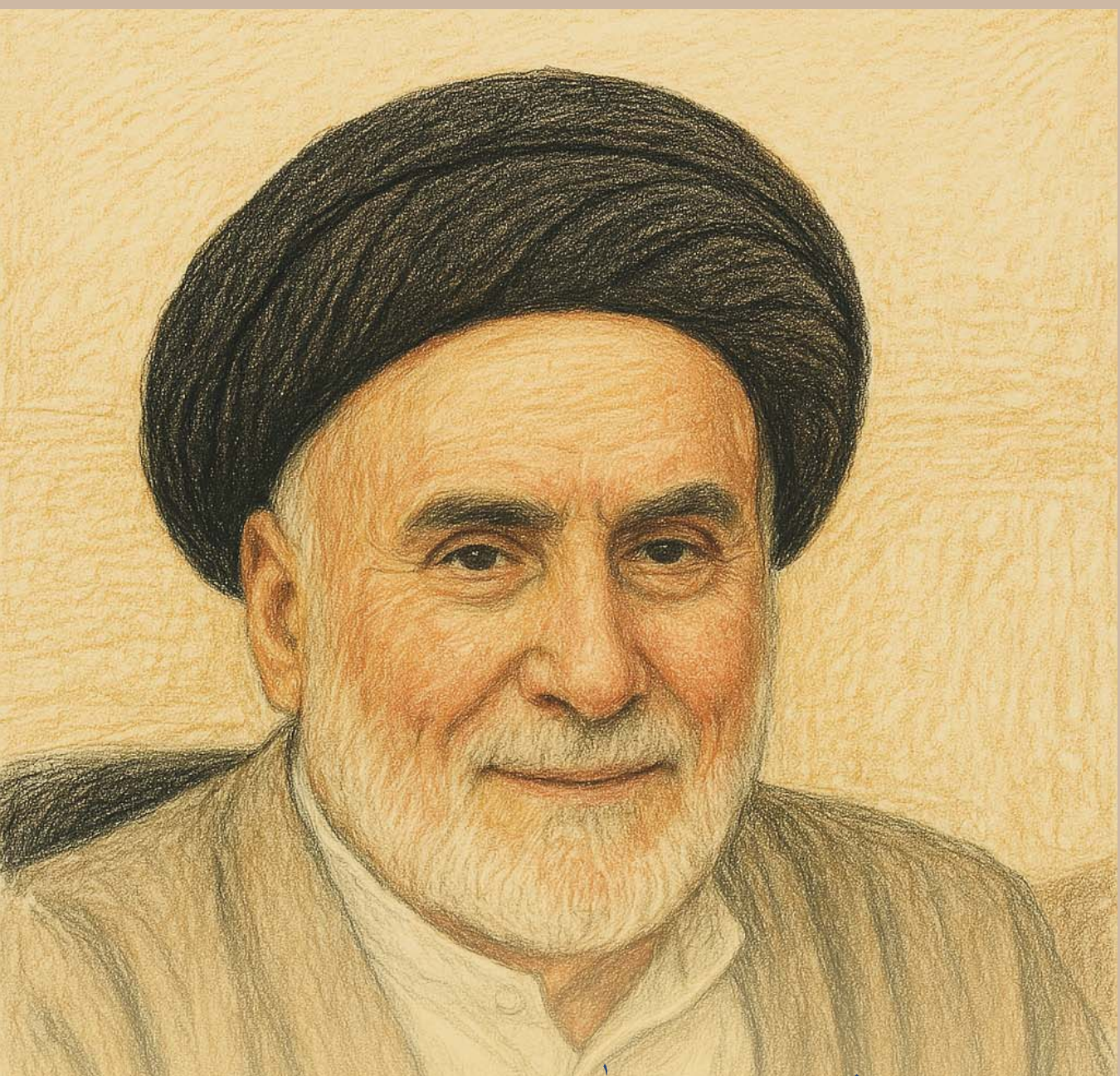

الرّجعة في كلمات آية الله السَّيّد جعفر مرتضى العامليّ

محمّد علي بردى/ لبنان

من المعلوم أنّ الشّيعة الإماميّة يعتقدون بالرّجعة، أي رجوع طائفة من النّاس بعد ظهور الإمام القائم من آل مُحمّد عجّل الله فرجه الشّريف، وقبل الحشر الأكبر في يوم القيامة، بل صرّح جملة من فقهاء الشّيعة بأنّها هذه العقيدة من ضروريّات المذهب، ومن العلماء الذين تعرّضوا لبيان أدلّة الرّجعة والحكمة منها وموقعها الكلاميّ العلّامة المُحقّق السَّيِّد جعفر مرتضى العامليّ أعلى الله مقامه، فأحببنا أن نجمع بعض كلماته عن هذه العقيدة لما يترتّب على الاعتقاد بها من بركات معنويّة وعمليّة، ومن باب الاستفادة من هذا العالم الجليل الذي قضى عمره في تثبيت العقائد الحقّة.

١. ما هي الرّجعة؟

إنّ المُـراد مـن الرّجعـة في المقـام هـو حـشر في الدُّنيـا قبـل الحـشر الأكـبر في يـوم القيامـة، وفي حـين أنّـه لا يوجـد محـذور عقـليّ مـن وقـوع الرّجعـة، فإنّهـا ليسـت مـن الاعتقـادات التـي يمكـن للعقـل أن يُدركهـا عـلى نحـو الاسـتقلال، كوجـود واجـب الوجـود والعـدل الإلهـيّ وضرورة النُّبـوَّة وغـير ذلـك، إنّـما هـي مـن الأُمـور التـي لا بُـدّ مـن ورود نـصّ فيهـا، كالـبرزخ والـصّراط وتطايـر الكتـب ونحوهـا من الاعتقـادات الثّابتـة، وقـد أوضـح ذلـك السَّـيِّد جعفـر قائـلاً: "ليسـت مـن المـدركات العقليّـة، ليُحتكـم فيهـا إلى العقـل، أو لكـي يُسـأل العقـل عنهـا، بـل هـي أمـر غيبـيّ لا يُعـرف إلّا بالنّقـل، أو بالإجمـاع الكاشـف عـن إبـلاغ المعصـوم لهـذا الأمـر للنّـاس، وإجمـاع المجمعـين قـد كشـف لنـا عـن معرفتهـم بهـذا الأمـر التّوقيفـيّ، الـذي أخـذوه عـن المعصومـين عليهم السلام"[1].

٢. الرّجعة ثابتة في القرآن والسُّنَّة

عـلى أنّ الرّجعـة قـد ثبتـت بالأدلّـة القرآنيّـة والرّوائيّـة، حيـث قـد أُشـير إليهـا "في العديـد مـن الآيـات، والعـشرات والمئـات مـن الرّوايـات، ومـن ذلـك قولـه تعـالى: ﴿وَيَـوْمَ نَحْـشُرُ مِـن كُلِّ أُمَّـةٍ فَوْجًا﴾[النّمـل: ٨٣] فـإنّ هـذه الآيـة تشـير إلى الحـشر والرّجعـة في الدّنيـا.. أمّـا الحـشر الأعظـم في الآخـرة، فهـو المعنـيّ بمثـل قولـه تعـالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُـمْ فَلَـمْ نُغَـادِرْ مِنْهُـمْ أَحَـدًا﴾ [الكهـف: ٤٧]، ونظائرهـا مـن الآيـات كثـير"[2]، وقـد ذكـر رحمـه الله أنّ الرّجعـة خاصّـة لمـن محـض الإيـمان، أو الكفـر محضـاً، كـما تنـصّ عليـه الرّوايـات[3].

٣. حكمة الرّجعة

وقـد تحـدّث السَّـيِّد رحمـه الله حـول حكمـة الرّجعـة قائـلاً: "هنـاك الكثـير مـن الحِكَـم لموضـوع الرّجعـة، ومـن تلـك الحكـم شـفاء صـدور المؤمنـين بـما يرونـه مـن عـذاب وخـزي يحـلّ بالكافريـن، ويكفـي أن نذكّـر السّـائل الكريـم بقولـه تعـالى: ﴿قَاتِلُوهُـمْ يُعَذِّبْهُـمُ اللهُ بِأَيْدِيكُـمْ وَيُخْزِهِـمْ وَيَنْصُرْكُـمْ عَلَيْهِـمْ وَيَشْـفِ صُـدُورَ قَـوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[التّوبـة: ١٤]. ومـن جهـة أُخـرى، فقـد ذكـرت الآيـات القرآنيّـة المباركـة: أنّ العـذاب عـلى بعـض الذّنـوب يكـون في الدّنيـا وفي الآخـرة عـلى حـدّ سـواء.. ومـن مفـردات هـذا العـذاب عـذاب الخـزي: قـال تعـالى حكايـة عـن قـوم عـاد: ﴿فَأَرْسَـلْنَا عَلَيْهِـمْ رِيحًـا صَرْصَرًا فِي أَيَّـامٍ نَحِسَـاتٍ لِنُذِيقَهُـمْ عَـذَابَ الْخِـزْيِ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَلَعَـذَابُ الْآخِـرَةِ أَخْـزَىٰ وَهُـمْ لَا يُنْـصَرُونَ﴾[فصّلـت: ١٦]، وقـال تعـالى: ﴿كَـذَّبَ الَّذِيـنَ مِـن قَبْلِهِـمْ فَأَتَاهُـمُ الْعَـذَابُ مِـنْ حَيْـثُ لَا يَشْـعُرُونَ * فَأَذَاقَهُـمُ اللهُ الْخِـزْيَ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَلَعَـذَابُ الْآخِـرَةِ أَكْـبَرُ لَـوْ كَانُـوا يَعْلَمُونَ﴾[الزمـر: ٢٥ - ٢٦] وقـال تعـالى عـن المجـادل بغـير علـم: ﴿ثَانِـيَ عِطْفِـهِ لِيُضِـلَّ عَـن سَـبِيلِ اللهِ لَـهُ فِي الدُّنْيَـا خِـزْيٌ وَنُذِيقُـهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ عَـذَابَ الْحَرِيقِ﴾[الحـجّ: ٩]، وقـال سـبحانه:

الرّجعة هي من الأُمور الإعتقاديّة المهمّة التي يتمّ العدل الإلهيّ في البشر، في الدّنيا والآخرة، وتكريسه في وجدان الأُمّة، بعد تحقّق الوعد الإلهيّ بالنّصرة للمؤمنين، وظهور دولة الحقّ في الدّنيا على يد حُجّة آل محمّد عليهم السلام

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾[البقرة: ٨٥]، وهناك آيات أُخرى في هذا السّياق.. وذلك لأنّ نفس هذا الخزي الدّنيويّ القريب، يزيد من صعوبة إقدام النّاس على ارتكاب تلك العظائم والجرائم.. كما أنّه يعطي أهل الإيمان صلابة في الإلتزام، وعمقاً في الإحساس بلطف الله بهم، ورحمته لهم، وعظيم فضله ومنّه عليهم"[٥].

٤. رأي السَّيِّد في تأويل الرّجعة

هذا بالنّسبة إلى ما يُدرك من حكمة الرّجعة، وأمّا بالنّسبة إلى ما لا يُدرك، فقد ذكر رحمه الله أنّه "لعلّ هناك حكماً وفوائد، وآثاراً وعوائد لا ينالها البشر بعقولهم، ولا تبلغها أفهامهم، فلا بُدّ من سؤال أهل العصمة عنها"[٦]، وقد يكون عدم الالتفات إلى ذلك هو السّبب في شعور البعض بالاضطرار إلى إنكار الرّجعة أو تأويل ما ورد فيها من نُصوص. من هنا قال رحمه الله: "إنّ الاستناد إلى الإستبعادات والإستحسانات في أُمور ترتبط بالغيب، وما لا طريق لنا إلى الإطّلاع عليه، وكذا عدم القدرة على تعقّل أو فهم بعض الأُمور، الواردة في النّصوص، لا يبرّر رفض النصّ، ولا يُلزمنا بتأويله"[٧]، بل اعتبر تأويل آيات وأحاديث الرّجعة "بأنّ المراد بها رجعة السّلطان، يخالف صريح كثير من تلك الرّوايات والآيات، وهو في الحقيقة إنكار مبطّن، بل إنكار صريح للرّجعة الثّابتة عند الشّيعة"[٨]، وعبّر أيضاً أنّ "عدم التَّمكُّن من فهم مبرّرات الرّجعة، وعدم قدرة البعض على مواجهة التّحدّيات المعاصرة، لا يخوّله تأويل الأحاديث التي قد تصل إلى مائتين وعشرين حديثاً، بالإضافة إلى أدلّة وشواهد عديدة أُخرى"[٩].

٥. هل الإعتقاد بالرّجعة غلوّ؟

ثمّ إنّه رحمه الله قد أجاب عن إشكالٍ آخر حول الرّجعة، وهو أنّ الاعتقاد برجوع النّبيّ والأئمّة عليهم السلام فيه غلوّ، وقد عدّ هذا الإشكال هو "الأغرب والأعجب"، فقال: "إلّا أن يكون القول بالرّجعة، ورجعة الإمام عليّ عليه السلام بالذّات غلوًّا عند هؤلاء.. فإن كان الأمر كذلك فإنّ جميع الشّيعة غُلاة، منذ عهد الأئمّة عليهم السلام وإلى يومنا هذا.. كما أنّ الغلوّ

موجـود في القـرآن فإنّـه هـو الـذي قـرّر أمـر الرّجعـة وأخـبر النّـاس عنهـا، وكذلـك النّبـيّ الأعظـم ﷺ والأئمّـة عليهم السلام مـن بعـده"[١٠].

٦. موقع الرّجعة من العدل الإلهيّ

وكيفـما كان، فـإنّ ممّـا يسـاهم في إيضـاح مسـألة الرّجعـة: الالتفـات إلى ارتباطهـا بالعـدل الإلهـيّ والتّعـرُّف عـلى بعـض مـا يُسـتدلّ بـه عـلى تحقّـق الوعـد الإلهـيّ في الدُّنيـا قبـل الآخـرة، وهـو مـا أشـار إليـه رحمـه الله بقولـه: "بالرّجعـة يتبلـور معنـى الجـزاء العـادل، وشـفاء صـدور المؤمنين قبـل يـوم القيامـة، وفقـاً لقوله تعـالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا۟ فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾[القصص: ٥-٦]، وآيـات عديـدة أُخـرى، ومنهـا كـما أشـارت إليـه بعـض الرّوايـات: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ الصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾[النّور: ٥٥]، وآيـات أُخـرى ذكـرت الرّجعـة تصريحـاً أو تلميحـاً، كـما في قولـه تعـالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾[النّمـل: ٨٣]، وغـير ذلـك"[١١].

بـل وقـد أكّـد عـلى كـون العـدل الإلهـيّ جوهـر هـذه العقيـدة وأساسـها قائـلاً: "أسـاس القضيّـة هـو إجـراء العدالـة الإلهيّـة، فـإنّ المطلـوب هـو أن يتجسّـد هـذا العـدل أمـام أعـيُن النّـاس، كواقـع حـيّ، ليكـون مـن موجبات كـمال النّفـوس البشريّـة، حـين تـرى وتلمـس تحقّـق الوعـد الإلهـيّ، فـإنّ هـذه الرّؤيـة ترتقـي بالنّفـس البشريّـة إدراكيًّـا، إلى مراتـب من الشّـعور بالعـدل الإلهـيّ، وبالقـرب مـن الله، بـما يفـوق كلّ وصـف"[١٢]، كـما قـال أيضـاً: "الرّجعـة هـي مـن الأُمـور الإعتقاديّـة المهمّـة التـي يتـمّ العـدل الإلهـيّ في البـشر، في الدّنيـا والآخرة، وتكريسـه في وجـدان الأُمّـة، بعـد تحقّـق الوعـد الإلهـيّ بالنّصرة للمؤمنـين، وظهـور دولـة الحـقّ في الدّنيـا عـلى يـد حُجّـة آل محمّـد ﷺ"[١٣].

٧. ذكر الرّجعة في الأدعية والزّيارات

بالإضافـة إلى مـا مـرّ، فمـن المعلـوم أنّـه يُسـتدلّ عـلى الرّجعـة ببعـض مقاطـع الأدعيـة والزّيـارات، فقد ورد في زيـارة الجامعـة الكبـيرة: "مصـدّق برجعتكـم"[١٤]، وفي زيـارة آل ياسـين: "وأنّ رجعتكـم حـقّ لا ريـب فيهـا"[١٥]، وفي دعـاء العهـد: ﴿اللّهـمّ إن حـال بينـي وبينه المـوت الذي جعلتـه عـلى عبـادك حتـماً مقضيًّـا فأخرجنـي مـن قـبري مؤتـزراً كفنـي شـاهراً سـيفي مجـرّداً قنـاتي ملبّيـاً دعـوة الدّاعـي في الحـاضر والبـادي﴾[١٦]، وغـير ذلـك، وقـد ذكـر رحمـه الله أنّ مـا يقتـضي جعـل قضايـا الاعتقـاد مـن مضامـين الأدعيـة هـو أهمّيّـة الاعتقـادات في حيـاة الإنسـان ومسـيره إلى

مصـيره[١٧]، وأضـاف إلى ذلـك قائـلاً:"إنّ هـذا يعطـي: أنّ مـن الـضّروريّ أن يبقـى الإنسـان المؤمـن عـلى حالـة تواصـل مستمرّ، واستحضار أكيـد للمضامـين الإعتقاديّـة، وأنّ اسـتحضارها الدّائـم مطلـوب ومحبـوب لله تعـالى؛ لأنّـه ضمانـة الثّبـات والسّـلامة في الفكـر والوعـي، والممارسـة والموقـف"[١٨].

أ- الرّجعـة في دعـاء يـوم ولادة الإمـام الحسـين عليه السلام .

جاء في دعاء يوم ولادة الإمام الحسين عليه السلام:

"اللّـهُمَّ إنّي أسـألُكَ بِحَـقِّ المَولُـودِ في هـذَا اليَـوم، المَوعُـودِ بِشَـهادَتِهِ قَبلَ استِهلالِهِ وولادَتِهِ، بَكَتـهُ السَّـماءُ ومَـن فيهـا، والأرضُ ومَـن عَلَيهـا ولَمّـا يَطَـأ لابَتيهـا، قَتيـل العَـبرَةِ وسَـيِّدِ الاسرَةِ، المَمـدُودِ بالنُّـصرَةِ يَـومَ الكَـرَّةِ، المُعَـوضِ مِـن قَتلِـهِ أنَّ الأئِمَّـةَ مِـن نَسـلِهِ والشِّـفاءَ في تُربَتِـهِ والفَـوزَ مَعَـهُ في أوبَتِـهِ والأوصِيـاءِ مِـن عِترَتِـهِ بَعـدَ قائِمِهِـم وغَيبَتِـهِ، حَتّـى يُدرِكُـوا الأوتـارَ ويَثـأرُوا الثّـارَ ويُرضُـوا الجَبّـارَ ويَكُونُـوا خَـيرَ أنصـار، صَـلَّى اللهُ عَلَيهِـم مَـعَ اختِـلافِ اللَّيـلِ والنَّهـارِ، اللّـهُمَّ فَبِحَقِّهِـم إلَيـكَ أتَوسَّـلُ وأسـأَلُ سُـؤالَ مُقتَـرِف مُعتَـرِف مُسـيئ إلى نَفسِـهِ مِمَّـا فَـرَّطَ في يَومِـهِ وأمسِـهِ، يَسـأَلُكَ العِصمَـةَ إلى مَحَـلِّ رَمسِـهِ، اللّـهُمَّ فَصَـلِّ عَـلى مُحَمَّـد وعِترَتِـهِ واحشُرنـا في زُمرَتِـهِ وبَوِّئنـا مَعَـهُ دارَ الكَرامَـةِ ومَحَـلَّ الإقامَـةِ، اللّـهُمَّ وكَـما أكرَمتَنـا بِمَعرِفَتِـهِ فَأكرِمنـا بِزُلفَتِـهِ وارزُقنـا مُرافَقَتَـهُ وسـابِقَتَهُ واجعَلنـا مِمَّـن يُسَـلِّمُ لأمـرِهِ ويُكثِـرُ الصَّـلاةَ عَلَيـهِ عِنـدَ ذِكـرِهِ وعَـلى جَميـعِ أوصِيائِـهِ وأهـلِ أصفِيائِـهِ المَمدُوديـنَ مِنـكَ بِالعَـدَدِ الاثنَـي عَـشَرَ، النّجُـومِ الزُّهـرِ والحُجَـجِ عَـلى جَميـعِ البَـشَرِ، اللّـهُمَّ وهَـب لَنـا في هـذَا اليَـومِ خَـيرَ مَوهِبَـة وأنجِـح لَنـا فيـهِ كُلَّ طَلِبَتـه، كَـما وَهَبـتَ الحُسَـينِ لِمحَمَّـد جَـدِّهِ وعـاذَ فُطـرُسُ بِمَهـدِهِ، فَنَحـنُ عائِـذُونَ بِقَـبرِهِ مِـن بَعـدِهِ، نَشـهَدُ تُربَتَـهُ وننتظُـر أوبَتَـهُ، آمـينَ رَبَّ العالَمـينَ"[١٩].

قـال السَّـيِّد رضـوان الله عليـه: "إنّ هـذا الدّعـاء قـد حمـل لنـا طائفـة مـن الأُمـور التّربويّـة والاعتقاديّـة، والمعـارف، وغيرهـا.. ليذكّرنـا بهـا، ويجعلنـا نعيشـها بروحيّـة المعـترف، وفي أجـواء انفعـال روحـيّ تنصهـر فيـه المشـاعر بالحالـة الإيمانيّـة والاعتقاديّـة، لكـي تـؤتي ثمارهـا ارتباطـاً خاصًّـا بهـذا المولـود.. فيـه الكثـير مـن الـدّفء، والسّـلام والمحبّـة والرّضـا.. ولينتـج فينـا، وفي حياتنـا كلّهـا سـلوكاً طاهـراً، ونقيًّـا، ومفعـماً بالأمـل والرّجـاء"[٢٠]، وقـد ورد ذكـر الرّجعـة صريحـاً في هـذا الدُّعـاء، فالمُـراد مـن "الكَرَّة" و"الأوبـة" هـو الرّجعـة كـما لا يخفـى.

ب- إشارات وتوضيحات

وهنـاك عـدّة فوائـد ذكرهـا السَّـيِّد جعفـر في حديثـه عـن مضامـين هـذا الدّعـاء:

ـ رجعة الأئمّة عليهم السلام

قـال قُـدِّس سرُّه: "ذكـر هـذا الدّعـاء: أنّ الأوصيـاء مـن عـترة وذُرِّيَّـة الإمـام الحسـين عليه السلام

ستكون لهم أوبة بعد زمان قائمهم، ليدركوا الأوتار، ويثأروا الثّار، ويرضوا الجبّار، ويكونوا خير أنصار لله ولرسوله، ولهذا الإمام المظلوم الشّهيد"[٢١].

ـ إدراك الأوتار: متى ولماذا؟

قال قُدِّس سرُّه: "قد صرّح هذا الدّعاء: بأنّ إدراك الأوتار في الرّجعة، والثّأر من المعتدين، وإنزال الجزاء بهم، فيه رضى الله تعالى، وهو عمل بالوظيفة الشّرعيّة، وطاعة لله تعالى، لكي لا يُفهم موضوع إدراك الأوتار على أنّه مجرّد تشفٍّ وانتقام للأشخاص من واتريهم، والمعتدين عليهم"[٢٢]، بل إنّ الأساس هو إجراء العدالة كما مرّ..

ـ وقت الرّجعة

قال قُدِّس سرُّه: "قد حدّد الدّعاء وقت الرّجعة، وأنّها ستكون بعد غيبة الإمام عجل الله فرجه الشريف وبعد ظهوره، وانقضاء أيّام حكمه، والدّخول في نطاق إرهاصات يوم القيامة، والتي ستكون الرّجعة من جملتها"[٢٣].

ـ التّحفيز

قال قُدِّس سرُّه: "ثمّ يأتي دور التّحفيز، والتّوثّب للفوز الكبير، بأن يكون الدّاعي في جملة من ينال شرف الأوبة مع الإمام الحسين عليه السلام في الرّجعة، التي هي القيامة الصّغرى"[٢٤].

ـ التّأثير السُّلوكيّ

قال قُدِّس سرُّه بأنّ هذا "يجعل الدّاعي أمام مسؤوليّة الإعداد والاستعداد، وتهيئة الجوّ، وبلورة وتطوير وتطهير السّلوك من الشّوائب، وإيجاد التّحوّلات اللّازمة، والتي تجعل الدّاعي في عداد من يستحقّ نيل هذا المقام"[٢٥].

ـ قيمة الإيمان

قال قُدِّس سرُّه: "أمّا صفوة أهل الإيمان، فإنّ رجعتهم لابدّ أن تزيد المؤمنين إحساساً بقيمة الإيمان وأهله، فيزداد تعلّقهم به قوّة وصلابة في الالتزام، وحرصاً عليه، واهتماماً بتلمّس معانيه، والإنطلاق في رحاب آفاقه الزّاخرة بالخير والعطاء، ولابدّ أن يشكّل ذلك حافزاً قويًّا على العمل لبلوغ تلك المراتب السّامية، ونيل ذلك المقام العظيم، الذي يخوّلهم للرّجعة في آخر الزّمان ليكونوا خلفاء الله في أرضه والحكّام على عباده وورثة بلاده"[٢٦].

٨. هل الرّجعة من ضروريّات المذهب؟

بعد أن تبيّن ثبوت هذه العقيدة بالأدلّة القرآنيّة والرّوائيّة، يبقى السّؤال عن مرتبة الاعتقاد بالرّجعة، فهل الرّجعة من ضروريّات المذهب؟ وقع الخلاف بين العلماء في ذلك، فمنهم من قال بأنّها من الضّروريّات، ومنهم من قال بأنّها ثابتة ومن المسلّمات، وليست من الضّروريّات، فما هو رأي السَّيِّد جعفر مرتضى في ذلك؟ قد يُقال: إنّه رضوان الله عليه قد صرّح بأنّ الرّجعة ممّا لا يجب الاعتقاد به[٢٧]،

لكـنّ المُـراد مـن كلامـه أنّ الرّجعـة ممّـا لا يجـب الاعتقـاد بـه في تحقّـق أصـل الانتـماء إلى التَّشـيُّع، أي قبـل الوقـوف عـلى أدلّتهـا، لا أنّ الاعتقـاد بالرّجعـة ليـس بواجـب بعـد العلـم بثبوتهـا.

مـن هنـا قـال رحمـه الله: "إنكارهـا مـن العـالِم بذلـك يُعتـبر تكذيبـاً لله تعـالى ولرسـوله ﷺ، وأمّـا إن كان إنسـان مـا لا يعلـم بوجـود هـذه الرّوايـات، أو لا يعلـم بأنّهـا متواتـرة وصـادرة قطعـاً؛ فـإذا قـال: أنـا لا أعتقـد بالرّجعـة لأنّي لا علـم لي بهـا، أو قـال: أنـا لا أعتقـد بالرّجعـة لأنّنـي لا أعـرف إن كانـت هـذه الرّوايـات توجـب القطـع دلالـة وسـنداً؛ فإنّـه يكـون معـذوراً أيضـاً، وأمّـا لـو قـال: أنـا أكـذّب هـذه الرّوايـات وأنـا أنكـر الرّجعـة، فإنّـه لا يكـون معـذوراً في ذلـك"[٢٨].

كـما أوضـح أنّ ثبـوت اعتقـادات كالرّجعـة "وبلوغهـا درجـة البداهـة" إن كان "قـد حصـل بالنّسـبة لأتبـاع مذهـب بعينـه، فـإنّ إنكارهـا يوجـب الخـروج عـن ذلـك المذهـب [..] لأنّ إنـكار ذلـك عنـد الشّـيعة ربّـما أوجـب تكذيـب الأئمّـة عليهم السلام، المسـاوق لإنـكار إمامتهـم، أو إبطـال دورهـم، وإن لم يلـزم منـه تكذيـب الرّسـول ﷺ والقـرآن في بعـض الأحيـان"[٢٩]، ومـن جهـة أُخـرى، فهنـاك بُعـد آخـر للإنـكار يجـب ألّا نغفل عنـه، وهـو أنّ عـدم وجـوب الإعتقـاد بعقيـدة مـا لا يعنـي عـدم حرمـان مَـن لا يعتقـد بهـا مِـن بـركات الاعتقـاد بهـا، كـما يذكـر رحمـه الله[٣٠]، وعـلى كلّ حـال، فإنّـه قـد صرّح في بعـض أجوبتـه عـلى الأسـئلة العقائديّـة بـأنّ الرّجعة قـد أصبحت مـن ضروريّـات مذهبنـا[٣١].

والحمد لله ربّ العالمين..

---

١. مختصر مفيد: ٦/ ٣٤.
٢. مختصر مفيد: ١٧/ ٩٦.
٣. مختصر مفيد: ١٩/ ١٣١.
٤. مختصر مفيد: ١٢/ ٦١-٦٢.
٥. مختصر مفيد: ١٢/ ٦١-٦٣.
٦. مأساة الزّهراء عليها السلام: ١/ ١٠٣
٧. مختصر مفيد: ٦/ ٣٧-٣٨
٨. خلفيّات مأساة الزّهراء: ٤/ ١٣٣.
٩. مختصر مفيد: ٩/ ٢٥٣.
١٠. الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والتّاريخ: ٢/ ٢٠٠.
١١. الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والتّاريخ: ٢/ ٢٠١.
١٢. الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والتّاريخ: ٢/ ٢٠٠.
١٣. الشيخ الصّدوق، كتاب من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦١٤.
١٤. الشيخ المشهديّ، المزار الكبير: ٥٦٦.
١٥. الشيخ المشهديّ، المزار الكبير: ٦٦٣.
١٦. الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والتّاريخ: ٢/ ١٩٢.
١٧. الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والتّاريخ: ٢/ ١٩٢.
١٨. الشيخ الطّوسيّ، مصباح المتهجّد: ٨٢٦.
١٩. الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والتّاريخ: ٢/ ١٩١-١٩٢.
٢٠. الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والتّاريخ: ٢/ ٢٠٤.
٢١. الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والتّاريخ: ٢/ ٢٠١.
٢٢. الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والتّاريخ: ٢/ ٢٠٤.
٢٣. الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والتّاريخ: ٢/ ٢٠٣.
٢٤. الإمام الحسين عليه السلام في الحديث والتّاريخ: ٢/ ٢٠٣-٢٠٤.
٢٥. مختصر مفيد: ١٢/ ٦٣.
٢٦. مختصر مفيد: ١٨/ ٢١٠.
٢٧. مختصر مفيد: ١٢/ ٦٠-٦١.
٢٨. من أجوبة سماحته على سؤال بعنوان "نظرة عامّة في الإعتقادات".
٢٩. مختصر مفيد: ١٨/ ٢١٠.
٣٠. مختصر مفيد: ١٢/ ٦١.

جهود العلماء من أجل طلب العلم

الشيخ أبو جعفر النجفي

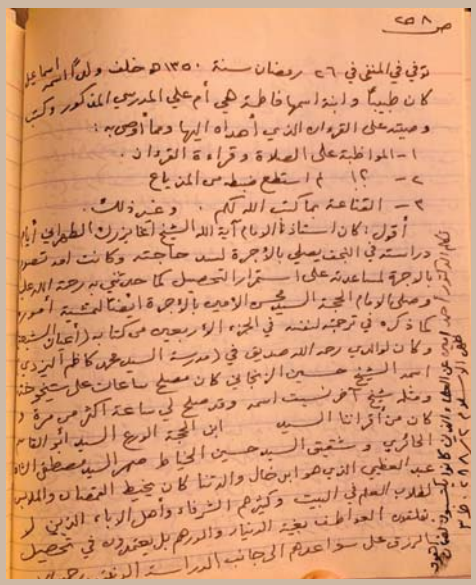

كتب العلامة السيد محمد حسن الطالقاني ﷺ في كتابه الروض الزاهي، ج٢، عن أحوال من أدركهم وهم يعيشون في شظف من العيش ومحن الزمان، وهم رغم ذلك يجدّون ويعملون:

كان أستاذنا الإمام آية الله الشيخ آغا بزرك الطهراني أيّام دراسته في النجف يصلي بالأجرة لسد حاجته.

وكانت أمه تصوم بالأجرة لمساعدته على استمرار التحصيل، كما حدّثني به رحمة الله عليه.

وصلّى الإمام الحجة السيد محسن الأمين بالأجرة أيضا لتمشية أموره، كما ذكره في ترجمته لنفسه في الجزء الأربعين من كتاب (أعيان الشيعة).

وكان لوالدي رحمه الله صديق في مدرسة السيد محمد كاظم اليزدي اسمه الشيخ حسين الزنجاني كان مصلح ساعات على شيخوخته، ومثله شيخ آخر نسيت اسمه، وقد صلح لي ساعة (ساعتي) أكثر من مرة.

وكان من أقراننا السيد..ابن الحجة الورع السيد أبو القاسم الحائري وشقيق السيد حسين الخياط صهر السيد مصطفى العظيمي الذي هو ابن خال والدتنا كان يخيط القمصان والملابس لطلاب العلم في البيت، وكثير هم الشرفاء وأهل الإباء الذين لا يتملقون العواطف بغية الدينار والدرهم، بل يعتمدون في تحصيل الرزق على سواعدهم إلى جانب الدراسة الدينية، رحمهم الله.

لاذوا بالجـــوار

السيد محمد جواد الحسيني العاملي
العالم الجليل والأُصولي الماهر

السيد محمد جواد الحسيني العاملي
العالم الجليل والأصولي الماهر

من أرض جبل عامل التي برعم فيها أساسات الولاية والتشيع العلوي الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه، فمن فيوضاته أشرق الجبل وأنجب أفذاذاً سامية من علماء وأدباء ومفكرين؛ أمثال العالم الجليل والأصولي الماهر في الفقه والرجال، المتبحر، والشاعر، والمجد المجتهد كثير الاطلاع، السيد محمد جواد الحسيني العاملي من أعمدة الفقه الإمامي و من علماء الاسلام وسندة المذهب الجعفري في عصره.

الاسم والولادة والنشأة:

السيد جواد بن محمد بن محمد بن حيدر بن إبراهيم بن أحمد بن قاسم الحسيني الشقرائي العاملي، عالم وفقيه وشاعر ينتهي نسبه إلى عيسى بن يحيى المحدث بن الحسين ذي الدمعة ابن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد في قرية شقراء في جبل عامل في لبنان ودرس فيها مبادئ العلوم الدينية على عم أبيه أو ابن عمه السيد أبي الحسن موسى.

سافر إلى كربلاء فدرس على يد العالمين الكبيرين الشيخ محمد باقر الأصفهاني المعروف بـ(الوحيد البهبهاني)، والسيد علي بن محمد علي بن أبي المعالي الطباطبائي، والد السيد محمد المجاهد.

بقي العاملي في كربلاء وهو يدرس عند هذين المرجعين حتى حصل على الإجازة العلمية من الشيخ البهبهاني، ثم سافر إلى النجف وهناك حضر أبحاث كبار علمائها أمثال السيد مهدي بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء والشيخ حسين نجف و غير هم .

وبقي في النجف لفترة طويلة وهو يواظب على الدروس حتى أجازه المحقق الكبير أبو القاسم القمي صاحب كتاب (القوانين) وخوّل له الفتيا في الأحكام الشرعية ولم يزل

ملازمـا لـدرس الطباطبائي حتـى وفاته، ثم استقل بالتدريس بعد سفر الشـيخ جعفر إلى إيران.

وقـد عـرف عـن العامـلي شـغفه بالعلم والمواظبـة على حضـور الـدرس مفضلا إياه عـلى كل أمـور الدنيا، كـما اشـتهر بالزهد والتقوى حتـى أصبح مرجعا كبـيراً وتصدر مجلـس التدريس وانضم إلى حلقة درسـه كثير من طلاب العلـم الذين صار لهم شـأن كبير في تاريخ الحـوزة العلميـة في النجف.

كـما لم يقتـصر نشـاط العامـلي العلمي على التدريـس بل كانـت له يد طـولى في التأليف والتصنيـف في الفقه والأصول، ومن أشـهر كتبه كتاب (مفتـاح الكرامـة في شرح قواعد العلامـة) في (٣٢) مجلداً إضافـة إلى كثيرٍ من الحواشي عـلى الكتـب الفقهيـة في الأحكام والعبادات.

أساتذته:

ونذكر منهم: الشـيخ محمد باقـر الاصفهاني المعروف بالوحيد البهبهاني، الشـيخ أبو القاسم الجيلاني المعروف بالمحقق القمي، السـيد محمد مهـدي بحر العلوم، الشـيخ جعفر كاشـف الغطـاء، السـيد عـلي الطباطبائي، الشـيخ حسين نجف.

تلامذته:

أمثال الشـيخ محمد حسـن صاحب الجواهر المعروف بالشـيخ الجواهري، والشـيخ محسن الأعسـم، والشـيخ جواد ملا كتاب، والشيخ محمد علي الهـزار جريبي المازنـدراني النجفي، والسـيد صـدر الديـن محمـد بـن صالح العامـلي، والسـيد عـلي بن محمـد الأمين، وولده السـيد محمد، الشـيخ رضـا بن زين العابديـن، وغيرهم.

أمـا مـن روى عنه بالاجـازة نذكـر منهم: الشـيخ محمد حسـن الجواهري، ولده السيد محمد، الشـيخ رضا بن زين العابدين، الشـيخ جـواد ملا كتاب، والشـيخ محمد عـلي الهزار جريبي المازنـدراني وغيرهم.

قالوا فيه:

ذكره صاحـب الروضـات في الصفحة ١٥٧ فقـال: كان من فضـلاء الأواخـر ومتتبعي فقهائهـم الأكابر وقـد أذعن لكثـرة اطلاعه وسـعة باعه في الفقهيـات أكثـر معاصرينا الذيـن أدركوا فيض صحبتـه بحيث نقل: (إن الميرزا أبا القاسـم صاحب القوانـين كان إذا أراد تشـخيص المخالف في مسـألة يرجع إليه فيظفر به) شـعراء الغـري ٢/ ١٣٨.

قال السـيد محسـن الأمين: (كان عالمـاً فقيهاً أصوليـاً محققـاً مدققاً ثقـةً جليـلاً حافظاً

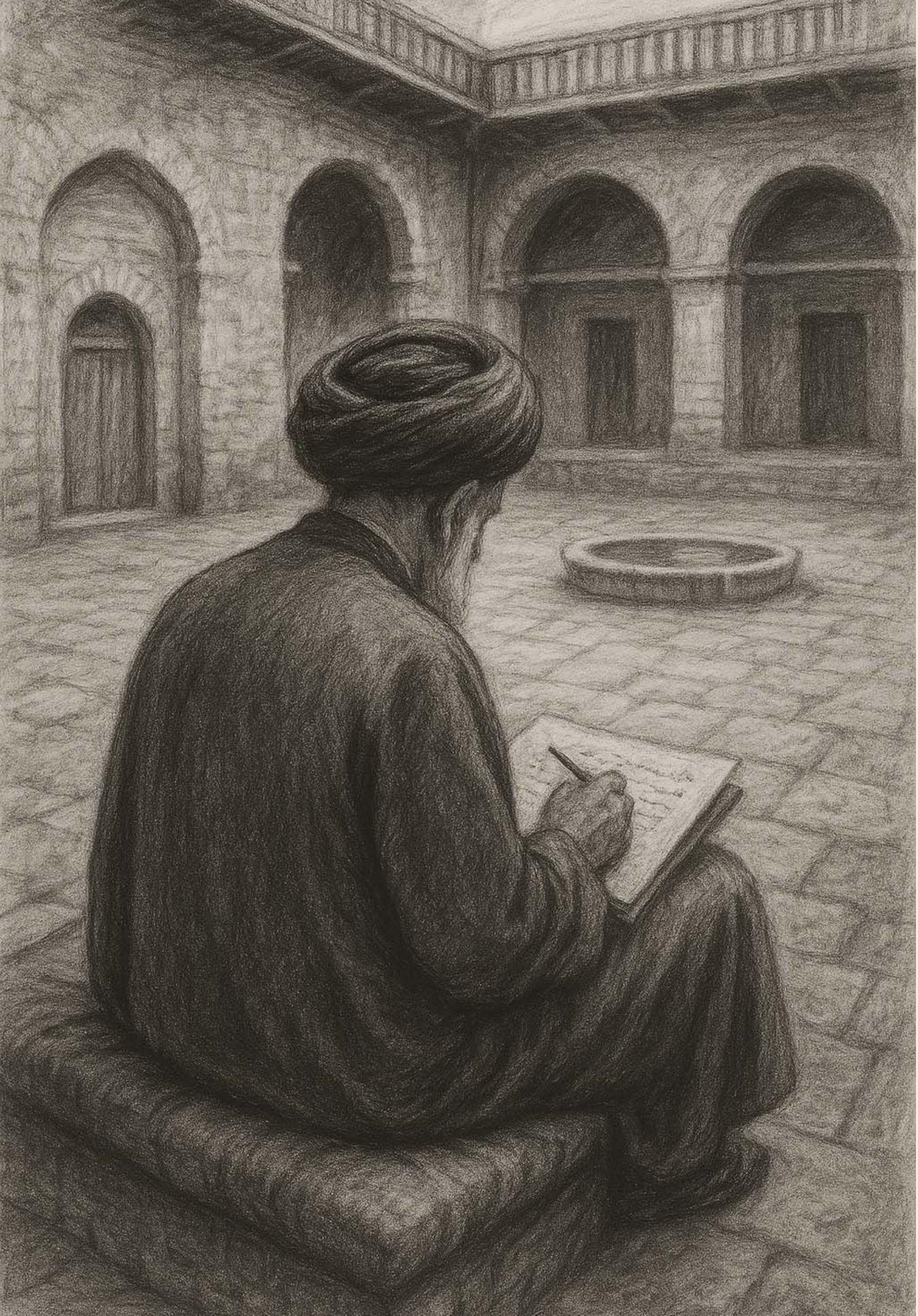

قال عنه السـيد محسـن الأمين: (كان عالماً فقيهـاً أصولياً محققاً مدققـاً ثقةً جليلاً حافظـاً مُتبحّراً قارئاً مجـوداً ماهراً في الفقه والرجـال، وغيرها..)

مُتبحّراً قارئـاً مجوداً ماهـراً في الفقه والرجال، وغيرها..)

وقال عنه أسـتاذه المحقق البهبهـاني في إجازته له: (اسـتجاز منـي العالم العامـل، والفاضل الكامل، المحقـق المدقق، الماهـر العارف، ذو الذهن الوقـاد، والطبع النقاد، مولانا السـيد السند السـيد محمد الجواد).

وقـال المحقق القمـي صاحـب القوانين في إجازته له: (اسـتجاز مني الأخ في الله السـيد العـالم العامل، الفاضل الكامـل، المتتبع المطلع عـلى الأقـوال والأفـكار، الناقـد المضطلع بمعرفـة الأخبـار والآثـار السـيد جواد العاملي..)

وقـال الخاقاني: (كان عالماً فقيهـاً أصولياً محققاً مدققاً ثقةً جليـلاً حافظاً متبحـراً قارئاً مجوداً ماهـراً في الفقه والرجـال وغيرهمـا زاهداً عابـداً متواضعـاً تقيـاً ورعاً مجـداً مجتهداً، متتبعاً لأقـوال الفقهـاء مطلعاً عـلى آرائهم عمـدة في جميـع ذلك، حسـن الخـط لم ير مثلـه في علو الهمـة وصفاء الـذات والضبط والاتقـان والتتبـع والجد في تحصيـل العلم، وكان حريصـاً عـلى كتابة كل ما يسـمعه من نفائـس التحقيقات).

مؤلفاته:

للسيد العاملي مؤلفات قيّمة نذكر منها:

١- مفتـاح الكرامة في شرح قواعـد العلامة، وهو أكبر مصنفاته وأحسـنها وأشـهرها.

٢- شرح طهارة الوافي.

٣- رسـالة في مناظرة الشـيخ جعفر والسيد محسـن الكاظمي.

٤- رسـالة في وجـوب الذب عـن النجف الأشرف.

٥- حاشـية على طهـارة المـدارك تقرب من خمسـة آلاف بيت كتبها أيام قراءتـه على بحر العلوم.

٦- حاشية على كتاب الدين والرهن.

٧- رسـالة مبسـوطة في العصيريـن العنبي والتمري.

٨- رسالة في المواسعة والمضايقة.

٩- منظومة في الرضاع.

١٠- منظومة في الخمس.

١١- منظومة في الزكاة.

وفاته:

توفي السيد محمد جواد العاملي رحمه الله في النجف الاشرف شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٦هـ ودفن بالصحن الشريف بحجرة رقم (٧).

من شعره:

قال من قصيدة في الإمام الحسين عليه السلام:

تساورَ رزءٌ فادحُ الخطبِ فاقمُ
فخرَّت من الدينِ القويمِ القوائمُ
سلوا يومَ حفّتْ بالحسينِ خيامهمْ
ولـيسَ لها إلا الرماحُ دعائمُ
فتى الحربِ يغنيه عن الجيشِ بأسُه
ويكفيه عن نصرِ النصيرِ العزائمُ
يخرُّونَ لا لله إن كرَّ سجَّداً
ولكن لماضيهِ تخرُّ الجماجمُ
لكَ اللهُ تستبقي وتردي جحافلاً
كأنكَ في الأعمارِ قاضٍ وحاكمُ
لكَ الله مكثوراً أضرَّ به الظما
ولا وردَ إلا المرهفاتُ الصوارمُ

وقال من قصيدة ومنها:

وذاك وميضُ القدسِ من أرض (كربلا)
فلا أبتغي حصناً سواهُ ولا كهفا
ولا أختشي ـ والحافظ الله ـ ضيعةً
وقد علقتْ كفي بكفينِ ما كفا
عليكَ سلامُ الله يا نورَ عرشِهِ
وأصدقَ من أوفى وأكرمَ من وفّى
سموتَ كما الزاكي أخيكَ ذرى العلا
فكنتَ لعرشِ الله تلوا له شنفا
وعانيتَ ما عانى فهادنَ حكمةً
وساموكَ ما ساموهُ في حكمِهم خسفا

---

١ ــ محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٤/ ٢٨٨، ٢٩٤

٢ ــ علي الخاقاني، شعراء الغري: ٢/ ١٣٧.

٣ ــ محمد أمين، علماء في رضوان الله: ٢٤٣.

٤ ـ كاظم عبود، مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف: ٣١٤.

وأيضاً في الأحلام

نقل الشيخ آغا برزك الطهراني عن أستاذه شيخ الشريعة أنه قال: كنت في أيام الدراسة والتحصيل فقيرا، وكلما احتجت إلى كتابٍ ولم يكن لدي القدرة على شرائه، كنت أذهب إلى أستاذي الشيخ محمد حسين الكاظمي وأستعير منه الكتاب وصدفة احتجت في ظهر أحد الأيام الحارة الصيفية إلى كتاب وتحركت نحو بيت أستاذي وفي الطريق اجتزت مقبرة الشيخ خضر، وفكرت أنّه هناك ربما يكون نائما في هذه الساعة فوقفت في جانب القبر، وقرأت سورة (يس) بنية أنْ لا يكون في ذهابي هذه الساعة مشقة للأستاذ، ثم نهضت وذهبت إلى بيت الأستاذ، قرعت الباب فلم يجبني أحد، وبعد لحظة قرعت الباب ثانية ولم يمض وقت كثير حتى فتح أستاذي الباب بنفسه وكان في يده الكتاب الذي احتجته فسألته متعجبا: من الذي أخبرك أني خلف الباب واني بحاجة إلى هذا الكتاب؟

فقال: كنت نائما فرأيت في عالم الرؤيا الشيخ خضر العفكاوي وقال لي: سيأتي فلان وهو بحاجة إلى الكتاب الفلاني انهض وهيأ الكتاب له، فاستيقظت وأخرجت الكتاب من المكتبة، وفي المرة الأولى التي قرعت الباب كنت أبحث في المكتبة عنه.

يقول الشيخ: فدهشت من سماع هذه القضية، وشرحت للأستاذ موضوع زيارتي قبر الشيخ وقراءة سورة (يس) إلى روحه الزكية.

(قصص وخواطر من اخلاقيات علماء الدين: ٢١١)

مسابقة العدد 190

مسابقة خاصة بهذا العدد يمكنكم الاشتراك فيها إلكترونياً
عبر مسح الباركود.

علمًا إن أجوبة الأسئلة تجدوها في مقالات هذا العدد

آخر موعد للمشاركة يـوم 15 ذي الحجة

هناك هدايا مالية لثلاثة فائزين

تعلـن أسمـاء الفائزيـن في
المسابقة عبر قناة مجلـــة
الولايـــــة في التلكـــرام